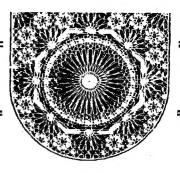
## ميلم مراديق يم كنور كشب التراث

# أوديب الملك ومسرحيات أخرى



10



### حلمي مراد يقدم : من روائع المسرح العالمي

# أوديب الملك

# ومسرحيات أخرى

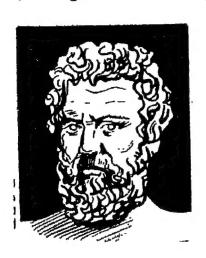
اودیب الملك (سوفوكلیس)
 اودیب الملك (جون درایدن)
 الحی سبیل الحی ( الثعلب ) ( بن جونسون )
 الأبرار ( الثعلب ) ( البیر كامی )
 المرأة بین الحلم والواقع ( لویجی بیراندیللو )
 بیت اللیل ( تیبری مونیه )

کناک مکت بتہ صیت ۳ شارع کا مل صد تی ۔ البجالا



#### المؤلف

#### ( ٤٩٥ ــ ٥٠٥ قبل الميلاد )



• يعتبر « سوفو كليس » عميد مؤلفى المسرح الإغريقى قاطبة .. وقد كتب أكثر من مائة مأساة تمثيلية ، فقدت غالبيتها فلم يبق من هذا التراث الخالد غير سبع مآس فقط ، هى حسب تاريخ تأليفها : أنتيجون ، إليكترا ، تراخينيا ، أوديب الملك ، أجاكس ، فيلوكتيتس ، أوديب فى كولوناس .. ولو اقتصر إنتاج سوفوكليس على هذه المسرحيات السبع لكفت لاعتبار الدور الذى لعبه فى تطور المأساة الإغريقية دورا خالدا فى تاريخ الأدب ! ويمتاز سوفوكليس بروعة البناء الفنى لمسرحيات ،

و السانية الموضوعاته وأسلوبه على النقيض من زميله ومعاصره اسخيلوس الذى نبغ في تمجيد (البطولة البصفة خاصة .. بل إن سوفو كليس يتفوق حتى على ثالثهما (يوريبيدس السعة أفق الحياة والعواطف التي يصورها في تمثيلياته الإعمق تحليله للطبيعة البشرية .. وكفاه فخرا أنه خلق شخصية (أوديب الخالدة وشخصية الإنسان الذي تغلب عاطفيته عدله الوبرغم ذلك نستشف النبل وراء دوافعه وحوافزه !.. ويعتبر أكثر النقاد مسرحية أوديب أعظم مسرحيات سوفو كليس جميعا وقد أشار إليها (أرسطو المرارا في سفره الذي سماه (فن نظم الشعر الله وأغلب الظن أن سوفو كليس كتبها لتمثل في إحدى المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية الدورية التي كانت تقام في أثينا في ذلك العصر المسابقات المسرحية أنها مثلت الأول مرة سنة ٢٤٥ ق.م .

وقد ولد سوفو كليس في «كولوناس» ، بالقرب من أثينا ، عام ٥٩٥ قبل الميلاد .. وعاش في العاصمة الإغريقية الزاهرة حياة طويلة ( بلغت التسعين عاما) ، عاصرت الحروب الفارسية .. وعصر بركليس .. وفترة من الصراع ضد إسبرطة !

#### شخصيات الرواية

أو ديب : ملك « طبة » **Oedipus جو كاستا**: زوجة أو ديب Jocasta كويون: شقيق جو كاستا Creon تيريسياس: عراف أعمى Tiresias أنتيجون : ابنتا أوديب . Antigone ايسمين: Ismene ر سولان Two Messengers واع Shepherd

#### تمهيد للرواية : أسطورة أوديب

• قبل أن يجلس أوديب على عرش « طيبة » كان يحكمها ملك يدعى « لايوس » . وكانت الملكة « جوكاستا » ... زوجة الملك الجديد ... زوجة للملك السابق في حياته ، فلما رزقا ابنا ذكرا انزعج الوالدان أيما انزعاج ، فقد تلقى الأب وحيا من معبد دلف المقدس انطوى على نبوءة له بأنه سوف يقتل بيد ابنه الذكر الذى سيرزق به في المستقبل ! . . فرأى الملك أن يتخلص من هذا الخطر بالتخلص من ابنه الوليد ، فأمر بأن تثقب

قدما الطفل وتقيدا بحربة مسنونة إلى صخرة على سفح جبل «كيثايرون » المهجور .. حتى يلقى الوليد حتفه !

لكن الأقدار تدخلت لإنقاذ الطفل البرىء ، فقد أشفق عليه رسول الملك الذى كلف بإهلاكه ، فتركه فى ظل كهف ظليل ، لينجو على الأقل من وزر قتله .. وصادف أن مر بالمكان راع كان يبحث عن ماشيته الضالة ، فعثر بالطفل .. وحمله إلى بلاط ملك كورينشة المدعو « بوليبوس » وزوجته « ميروب » فكفلاه وتبنياه ..

وشب الطفل « أوديب » فى بلاط ملك كورينته حتى بلغ مبلغ الرجال .. وذات ليلة ، فى إحدى الحفلات ، لعبت الخمر برأس أحد السمار فأبدى تشككه فى نسب أوديب! الأمر الذى دفع هذا إلى المبادرة باستشارة الآلهة بشأن نجمه .. فتنبأوا بأنه سوف يذبح أباه ويتزوج من أمه!.. وإذ أزعجت النبوءة أوديب ، بادر من فوره إلى الفرار من بلاط « والديه » ملكى كورينته ، رغم أنه لم يعرف له فى الدنيا أهلا سواهما ، إشفاقا عليهما وعلى نفسه من المصير الرهيب الذى تنبأت له به الآلهة!

#### لغز « أبو الهول »!

• فى تلك الأثناء ظهر فى طيبة الوحش « أبو الهول » ، مروعا أهلها بلغزه العجيب المستعصى الذى أخذ يلقيه على كل من يصادفه ، فإذا عجز عن حله قتله لساعته ! . . وكان اللغز المطلوب حله هو هذا : « ما هو المخلوق الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى وقت الظهيرة على رجلين ووقت الغروب على ثلاثة أرجل !»

ولم يستطع أحد من الذين صادفهم الوحش ووجه إليهم اللغز أن يهتدى إلى حله ، فمضى «أبو الهول» يمعن في أهل طيبة ذبحا وقتلا . . حتى ضبح سكان المدينة فزعا من هذه الكارثة التى هبطت عليهم ، وبلغت فواجعهم واستغاثاتهم مسامع الملك لايوس ، فحزن لمصير شعبه . . و لم يجد بدا من التوجه مع نفر من حاشيته إلى معبد « دلف » لاستشارة الآلهة فيما ينبغى فعله لوقف غضبها الذى صبته على المدينة . . لكن الموكب التقى في الطريق بأمير مجهول من أمراء كورينشه ( لم يكن سوى التقى في الطارب من بلاط والديه ، فرارا من قدره المقسوم ! » فنشبت بين أو ديب وبين المسافرين في ذلك الموكب \_ وكان يجهل شخصياتهم ! سوئ مشادة تطورت إلى مبارزة ، صرع فيها الأمير الملك لايوس وأفراد حاشيته جميعا ، ما عدا واحدا استطاع أن ينجو بنفسه !

وحين نفض أوديب سيفه من المعركة ، واصل سفره متجها إلى « طيبة » دون أن يدور بخلده أنه قتل لتوه ملكها! فلما وصل إليها واجه الوحش أبا الهول ، الذى ألقى عليه لغزه المحير .. فوفق أوديب إلى الحل الذى عجز عنه أهل المدينة جميعا: قال إن المخلوق المقصود باللغز هو الإنسان ، فهو يمشى في طفولته على أربع ، وفي شبابه على رجلين ، وفي شيخوخته على رجلين ثالثتهما العصا التي يتوكأ عليها!

وإذ كان هذا الحل هو الصائب ، قفز أبو الهول من فوق صخرته واختفى عن الأنظار !.. وفى الوقت الذى هلل فيه الشعب فرحا بالخلاص من اللعنة التي كانت قد حلت به ، وصلت أنباء مصرع الملك لايوس وحاشيته فى الطريق ، على صورة غامضة ، بيد أشخاص مجهولين .. فلم يجد الشعب خلفا يجلسه على العرش الشاغر خيرا من الأمير « أوديب » الذى أنقذه من الوحش ، فوهبه تاج الملك الراحل وزوجته جوكاستا ! واستقر أوديب وزوجته جوكاستا على عرش « طيبة » .. وتتابعت الأعوام ..

١

• `فإذا رفعت الستار عن الفصل الأول من المسرحية ، فقد انقضى على هذه الأحداث اثنا عشر عاما ، أثبت الملك أو ديب خلالها مقدرة فائقة وكفاءة ملحوظة في حكم البلاد .. و نعمت « طيبة » طيلة تلك السنوات بفترة يسر ورخاء .. حتى تفشى فيها فجأة و باء الطاعون ! فهر ع الشعب إلى الميدان المواجه لقصر الملك ، وأرسلوا إليه و فدا منهم يلتمس منه إنقاذ رعاياه من الوباء المروع ، كما أنقذهم منذ اثنى عشر عاما من الوحش أبى الحول ! فيجيب أو ديب على توسلات مندوبي الشعب قائلا إنه قد بادر بالفعل إلى إرسال شقيق زوجته الملكة \_ المدعو كريون \_ إلى معبد دلف ليسأل الآلهة عما ينبغى فعله لرفع غضبها عن المدينة ..

وفيما الملك يتكلم ، يصل كريون عائدا من مهمته :

أوديب : حدثنا أيها الأمير المحبوب ، أي جواب مقدس تحمله إلينا من آلهة معبد دلف ؟

كريون : أن نثأر لدم ملكنا السابق لايوس!

أوديب : نثأر ؟ ولكن كيف ؟ كيف نلاحق الإثم المطمور في طيات الماضي المريب ؟ كيف نعثر على القتلة ؟

كريون : الإله يشترط لكى يرفع عنا الوباء أن نقتص من القتلة أولا !

● لكن أوديب لا يعلم من قصة مصرع سلفه أكثر من أنه قُتل فى ظروف غامضة ، فيستفسر الآن من حاشيته عن التفصيلات ، فيعلم أنه قُتل بيد عصابة من اللصوص ، هو وأفراد حاشيته جميعا ، باستثناء شخص واحد عاد سالما ، لكن الصدمة هزت أعصابه وطمست ذاكرته بحيث لم يعد يذكر شيئا من تفصيلات المأساة !

واستجابة لسخط الشعب يتحمس أوديب لفكرة الثار من القتلة ويستمطر اللعنات عليهم ، متوعدا إياهم بأشد العقاب .. ويقسم أمام رجال حاشيته على ذلك !

وهنا يستحثه كريون على استدعاء العراف الأعمى المسن « تيريسياس » ، لعله يستطيع الاهتداء إلى مفتاح الجريمة .. فيحضر العراف ، يقوده صبى صغير .

أوديب : تيريسياس ، أنت ترى كيف يفتك الطاعون الخيف بشعبنا البرىء . . فانقذنا جميعا من اللعنة التي خلفها الموتى وراءهم . . تكلم ، أفصح لنا عن اسم قاتل الملك لايوس !

تيريسياس : أنا أفصح ؟ بل دعونى أذهب إلى بيتي بسلام ..!

أوديب : أنت تعرف القاتل ولا ترشدنا إليه ؟.. تتركنا حتى يهلك الوباء شعينا ؟

تيريسياس: ماذا تريدنى أن أقول ؟ إنك تواجهنى بسؤال لن أجيبك عليه .. خير للجميع ألا أبوح بما أعرف !.. ولندع الأيام تميط بنفسها اللثام عن الحقيقة ..

• لكن إحجام العراف عن الإرشاد إلى القاتل يثير ثائرة الملك أوديب، وشكوكه، فيرجح أن يكون العراف نفسه مدبر الجريمة .. ويواجهه بالتهمة !.. وإزاء هذا يضطر العراف إلى الدفاع عن نفسه، غاضبا لشرفه وطهارة يده، فيلقى أخيرا بالحقيقة فى وجه أوديب .. تيريسياس : إنك أنت سبب البلاء ومصدر الوباء .. أنت أنت القاتل

أوديب : ماذا تقول ؟ كيف تجرؤ !؟

الذي تبحث عنه!

تيريسياس : أو لم تلح على في الإفصاح عن اسم القاتل الذي يطلب الإله الاقتصاص منه كي يرفع الوباء عن طيبة ؟ إنك أنت مصدر اللوثة التي أغضبت الإله فأهلك من أجلها شعك!

ويحتدم النقاش ، فيتهم أوديب شقيق زوجته « كريون » بأنه الموحى إلى العراف بهذه الفرية ، طمعا في اغتصاب عرشه !

أوديب : يا لسلطان الحسد ، الذي جعل مخلصا قديما مشل « كريون » يسعى الآن بالخديعة كى يطيح بى عسن عرشى ، مستأجرا هذا المشعوذ الدنىء ، الأعمى عن

#### كل شيء عدا الكسب الحرام!

تيريسياس: لست أنا الذي جئت من تلقاء نفسي ، وإنما أنت الذي استدعيتني .. وها أنا ذاهب ، بغير أن يجبرني على ذلك خوف منك ، فلست أنت القوة التي تملك إيذائي ! ودعني أكرر على مسمعك: إنه هنا ، قاتل الملك لايوس الذي تبحث عنه .. ولن يعود عليه كشف الحقيقة بالخير والغبطة ، فلسوف يفقد البصر وهو المبصر!.. ويفتقر ، وهو الذي يرفل الآن في الثراء!.. ولسوف يمضى منبوذا إلى بلاد غريبة!.. كيف لا وهو والد أطفاله وشقيقهم الفاسق بأمه ، والقاتل لأبيه!

فإذا أفرغ العراف الأعمى جعبته من هذه اللعنات والنبوءات ، استحث الصبي أن يقوده إلى الباب ...

۲

• فإذا كان الفصل الثانى فقد أمر أوديب بقتل ( كريون ) شقيق زوجته ، بتهمة التآمر على عرشه !.. فلجأ كريون إلى الشعب يحاول أن يستنصفه من ظالمه ، ويثيره ضد طغيانه !.. وتقف الزوجة الحكيمة \_ « جوكاستا » \_ في هذه المحنة موزعة القلب بين زوجها وشقيقها .. وتلمح بوادر انقسام في صفوف الشعب ، وثغرة في ولائه لملكمه

« الظالم » ، فتنتهزها فرصة لإقناع أوديب بعدم اللجوء إلى العنف أخذا بشائعة لم يقم عليها دليل ، واندفاعا وراء عاطفة غضب موقوتة ..

وتضم حاشية الملك صوتها إلى صوت الملكة .. فيرضخ أوديب ، ويكتفى « بنفى » كريون بدلا من قتله !

وإذ تخلو « جوكاستا » إلى زوجها تحاول أن تزيل أثر العداء الطارئ بينه وبين شقيقها :

جوكاستا : أو تصدق مزاعم العرافين ؟.. إنهم بشر ، ما أضأل معرفتهم بالغيب ، وأكذبهم! وإليك الدليل ..

● وتقص عليه قصة النبوءة القديمة التي أوحت إلى زوجها السابق « لايوس » بأنه سيرزق ابنا ، ويموت قتيلا بيد هذا الابن نفسه !.. وتستطرد جوكاستا إلى أن لايوس مات مقتولا بالفعل ، لكنه إنما قتل بيد تلك العصابة من اللصوص التي هاجمته « في مفترق ثلاث طرق » .. فضلا عن أن ابنه الذي رزقه قد ألقى وهو بعد في يومه الثالث ليلقى حتفه على سفح جبل مهجور ، بعد أن سمرت قدماه في إحدى الصخور بحربة مسنونة .. بحيث لا يمكن أن يكون قد عاش وحقق النبوءة !

لكن جوكاستا لا تكاد تشير إلى أن لايوس قد قتل عند « مفترق ثلاث طرق » حتى يدب فى ذاكرة أوديب دبيب غامض ، يزداد إزعاجا له وإلحاحا على ذهنه حين يعرف أن مفترق تلك الطرق يقع فى جهة « فوكيس » !.. وإذ تتفاقم هواجسه لا يملك نفسه من إشراك زوجته فيها ، لعله يجد عندها ما يرد الطمأنينة إلى ضميره .. وهكذا يبوح لها بأنه شب معتقدا أنه ابن « بوليباس » و « ميروب » ملكى كورينثه ،

حتى أفلت لسان أحد السكارى فى مأدبة كان يحضرها فقال إن أوديب ليس ابن الملكين الحقيقى .. وأزعجه هذا القول فمضى ذات يوم ليستشير الإله بأنه سوف يقتل أباه وينجب نسلا من أمه ! حدون أن يزيد الوحى على ذلك حرفا .. فاعتقد أوديب أن قول ذلك المخمور الماجن بصدد نسبه كان فرية كاذبة ، وإذ خشى على أبيه وأمه حملكى كورينثة حمن تحقق النبوءة الجديدة بادر إلى الفرار من كورينثه ليقضى حياته فى طيبة .. وفى الطريق ، عند ملتقى ثلاث اتجاهات ، التقى بعربة تقل سيدا وعددا من خدمه ، وإذ كان الطريق ضيقا لا يتسع لمروره هو والعربة فى وقت واحد ، تحرش به أحد الحدم ، فقتله أوديب .. ثم قتل سيده الذى هب لمهاجمته .. ثم أجهز على بقية الركب الذين أرادوا الانتقام لقتلاهم !.. وهكذا لم ينج من ركاب العربة غير خادم أخير لاذ بالفرار ..

وإذ يفرغ أوديب من رواية القصة لزوجته ، تزداد مخاوفه من أن يكون هو قاتل لايوس حقيقة ، ولا يبقى لديه غير ثمة بصيص ضئيل من الأمل فى أن يكون التشابه بين ظروف المعركتين محض مصادفة . . فيصيح وقد أزمع أن يقطع الشك باليقين :

أوديب : أحضروا فورا ذلك الخادم الذي نجا !

• فإذا كان الفصل الشالث فنحن في انتظار وصول الخادم المذكور ، الذي صار الآن راعيا للأغنام . . ونرى « أو ديب » مشفقا من حضوره ، في حين تحاول زوجته جو كاستا أن تهدئ من مخاوفه وتطامن من انزعاجه بالقول إن الأمر لن يتكشف عن شيء ذي بال ، ولن تتحقق نبوءة الآلهة بحال !

وفي هذه الأثناء يقبل رسول من كورينئة فيعلن أن الملك «بوليباس» قد مات ، فأصبح ابنه أو ديب ملكا على كورينئه . ويفرخ روع أو ديب للذا النبأ الذي يكذب على الأقل نصف نبوءة الآلهة ، فقد مات بوليباس نتيجة المرض ولم يمت مقتولا بيد ابنه أو ديب .. وإذن لم يبق أمام هذا ما يخشاه غير النصف الآخر من النبوءة ، الخاص بإنجابه نسلا من أمه ! وإزاء ذلك ينهى أو ديب للرسول أنه لن يقبل عرش كورينئه ، خشية أن توقعه الظروف في شرك الاتصال بملكتها ميروب \_ أمه \_ فتتحقق النبوءة ! وهنا يتصدى الرسول لتبديد مخاوف الملك ، فيصارحه بأنه ليس ابن بوليباش وميروب حقيقة ، بل ابنهما بالتبنى فقط ! .. ويدعم الرسول زعمه بالقول إنه هو الذي حمل أو ديب الطفل إلى بلاط ملكي الرسول زعمه بالقول إنه هو الذي حمل أو ديب الطفل إلى بلاط ملكي كورينئة ، بعد أن وجده مقيدا من قدميه إلى صخرة على سفح جبل

« كيثايرون » وكان الذى أرشده إلى مكانه راع من زملائه كان يعمل
 قبلا فى خدمة الملك لايوس!

ويجمد الدم في عروق الملكة جوكاستا وهي تنصت إلى أقوال الرسول التي تميط اللثام عن الحقيقة الرهيبة .. وتحاول أن تثنى أو ديب عن فكرة استدعاء ذلك الراعي الذي يملك وحده مفتاح الموقف !.. لكن الملك المعذب قد صح عزمه على نبش الحقيقة من مرقدها وكشف النقاب عنها مهما كانت بشاعتها وأيا كان الثمن!

ويقترح أحدهم أن تفصح الملكة عن اسم خادمها القديم ، لكن التعسة تناشد « زوجها » أن يصم أذنيه عن الشائعات والترهات ، ويطلق بحثه عن الحقيقة طلاقا حاسما :



جو كاستا : بحق الآلهة كف عن التحرى والاستقصاء ، إذا كانت

لحياتك قيمة فى نظرك .. كفانى شقائى وأساى ! أواه ياابن الألم والويلات ، أتوسل إليك يا إلهى ألا تطلعه على الحقيقة قط!

أوديب : ( في إصرار ) فليحضر الراعى إلى هنا دون إبطاء !

• ويمضى الرسل لتنفيذ الأمر .. فتطلق جوكاستا صرخة لوعة ويأس ، وتنطلق من الحجرة لا تلوى على شيء ! بينها يلاحقها صوت أوديب قائلا في لهجة احتقار إنها إنما تخشى انكشاف سر مولده ونسبه لأنه كفيل بطعن كبريائها في الصميم ..

ويقاد إلى الحجرة شيخ مسن يرتجف خوفا .. فلا يكاد يقع عليه بصر الرسول القادم من بلاط ملك كورينثة حتى يتعرف فيه على شخص الراعى الذى أعطاه الطفل أوديب !.. ويدرك الراعى من فوره بشاعة المأساة ، فيحاول عبثا إسكات الرسول الثرثار .. ولكن دون جدوى ، فقد فات الأوان !

وتحت تأثير تهديد أوديب للراعى بالتعذيب ، يعترف المسكين بأن أوديب هو ابن الملك السابق لايوس وزوجته الملكة جوكاستا ، وأنهما قد أعطياه إياه ليهلكه .. لكن قلبه لم يطاوعه على ارتكاب هذه الجريمة فخان ثقتهما وتركه على قيد الحياة !

أوديب : ويلتاه ! ويلتاه ! ويلتاه ! أخيرا ينكشف كل شيء بوضوح . . أواه أيها الضياء ، فلتكن هذه نظرتي الأخيرة إليك ، أنا

الذى أدين بمولدى إلى من لا ينبغى أن أدين لهما .. إلى أم كان ينبغى أن لا أقتله ! كان ينبغى أن لا أقتله ! ويندفع إلى داخل القصر كالمجنون .. !

ź

• فإذا كان الفصل الأخير رأينا نفرا من رجال الحاشية يروون ما وقع عقب حوادث الفصل السابق: فقد أقبل على أو ديب رسول يقول إن جو كاستا قد فرت إلى مخدعها القديم صائحة باسم زوجها الأول لا لايوس » مولولة في فزع وذعر: « ويلى أنا الشقية .. زوج ولد من الزوج ، وابن ولد من الابن! » .

وحين يلحق بها أو ديب المعذب بعد حين فيقتحم عليها الباب وسيفه في يده ، يجدها معلقة في وسط الغرفة من رقبتها .. وقد خنقت نفسها بشعرها !.. فيحل المسكين وثاقها ، ثم ينتزع من صدرها مشبكا ذهبيا ويفقأ به عينيه صائحا : « إنكما لن تعودا تريانني، أو تريان أساى ، وخطاياى !.. وأنت يا ضياء النهار ، دعني أراك للمرة الأخيرة !..» ثم يتحامل الملك التعس على نفسه وهو ينزف دم عينيه ، ويطلب أن يقودوه إلى خارج القصر ليواجه شعبه الوفي .. وهناك ، أمام الجماهير الباكية يظهر أو ديب ، بائسا ، أعمى ، دامي العينين ، فيعلن لشعبه أنه قاتل الباكية يظهر أو ديب ، بائسا ، أعمى ، دامي العينين ، فيعلن لشعبه أنه قاتل

ملكهم السابق ( لايوس ) وملوث فراش ( أمه ) التي أنجبته !.. ويروح يصب لعناته على الإله أبوللو الذي تنبأ له بهذا المصير ، وعلى الراعى الأثم الذي أنقذه من الموت وهو طفل وليد !

ويطالب أوديب قومه أن يدعوه يهيم على وجهه فى الأرض ، ليكفر عما جنى .. وفى هذه الأثناء يصل « كريون » شقيق الملكة فلا يكاد يقف على ما حدث حتى يأمر بإعادة الملك إلى داخل القصر :

كريون : إنى لم آت أيها العزيز أوديب لأحقرك أو أو بخك من أجل جرائمك السابقة ..

أوديب : بل فلتطردني توا خارج هذه البلاد .. فقط ، أوصيك بابنتي المسكينتين .. ألا دعني ألمسهما بيدي وأبكى معهما أحزاني .. امنحني هذه المنة الأخيرة أيها الأمير ! • ثم يكرر توصيته لخالهما برعايتهما في يتمهما الطويل ، والسهر

على حمايتهما من الفقر أو العار الذي قد يلحق بهما من جراء إثم والديهما .. كا يوصيه بتهيئة جنازة لائقة للملكة جوكاستا .. ويستجيب كريون لتوسلات أوديب فيستدعى له ابنتيه :

أوديب : (وقد أحس بدخول بنتيه «أنتيجون» و «إيسمين»): أواه يا إلهي، هل أسمع نغم صوتكما الحبيب تقطعه شهقاتكما؟ تعاليا إلى يا طفلتي العزيزتين .. إني أبكي من أجل الحياة الكئيبة الموحشة التي تنتظركا

على يد البشر في سنواتكما القادمة .. أواه يا كريون ، لا تدعهما تقاسيان عناء الحياة بغير أزواج ، أو تتسولان من أجل خبزهما اليومي ..

**کریون** : أودیب ، کفی دموعا و بکاء ..

أوديب : بل دعني أبكي .. مصيرهما ، ومصيري .

كريون : حانت ساعة الفراق ..

أوديب : هكذا سريعا !.. لم يبق إلا أن أذعن لقدرى ونصيبي ،

مهما كان قاسيا ..

ويتركهم يقودونه إلى حيث شاءوا أن يقضى بقية حياته فى
 داخل القصر . . فى منفى رهيب من العمى والعذاب .

وتغلق خلفه الأبواب ..!

(ستار)



مأساة تمثيلية كبرى: للشاعر" چون درايرن "

#### البطلة .. والمسرحية .. والمؤلف

عزيزى القارئ ..

إذا كنت قد قرأت من قبل سيرة كليوباترة كما سجلها المؤرخون، فقد بقى أن تقرأ قصة غرامها الأعظم كما تخيله شاعر عظيم .. فغرام «أنطونى وكليوباترة »يكاد يعتبر أشهر حب في التاريخ! وقد عالج موضوعه أعظم مؤلفي العالم الموهوبين ، منذ شكسبير ، مدفوعين جميعا بحافز واحد ، هو روعة مغزاه الأخلاق .. ذلك أن أبطال الرواية الرئيسيين كانوا نماذج خالدة للحب غير المشروع ، الذي انتهى بأصحابه إلى أسوأ نهاية!.. أما الرواية ذاتها فهي الصورة المسرحية للعدالة المثالية ، للعقوبة العادلة التي تتبع العواطف المحرمة .. ولئن كان أبطالها قد ارتكبوا إثما يستحقون عليه عقوبتهم ، إلا أنهم ليسوا على درجة من الشر تفقدهم عطفنا .. فهم خطاة مسلوبو الإرادة ، أكثر منهم أنذالا مستهترين ..!

• ومؤلف هذه المسرحية هو الشاعر الإنجليزى القديم « جون درايدن » ، الذى عاش بين عامى ١٦٣١ و ، ١٧٠٠ وقد كان جده وعمه يحملان أرفع ألقاب الدولة ، وترك له أبوه ضيعة تغنيه عن الانشغال بمطالب العيش والحياة المادية ، فاستطاع أن يكرس وقته لتأمل قيم الحياة المعنوبة .. كان يقضى الصباح في الكتابة والتأليف ، وينفق العصر بين

أسرته وأفراد بيته ، ثم يمضى في المساء إلى مشرب (ويلز ) الذي كان ملتقى أدباء العاصمة الإنجليزية ، حيث كان الشعراء الشبان والطلبة والفنانون ينظرون إليه باعتباره معجزة عصره! وكان هو ، أيضا ، يعتبر نفسه أنبغ مفكرى زمانه ، فكان ينشق السعوط وينثر عباراته اللاذعة بخيلاء ولهجة متعالية . . وضاعف من خيلائه أنه صارذا حظوة عند الملك والأمراء ، فكان يخصهم بعبارات إهداء كتبه الجديدة ومقدماتها ، ويتلقى مقابل كل مقدمة كيسا من ذهب المعز!

. وقد وضع درايدن سبعا وعشرين مسرحية ، ما بين مأساة وكوميديا ورواية ساخرة ورمزية .. ولكن بعض هذه المسرحيات لقى فشلا ذريعا ، وبعضها منع تمثيله على المسرح لعدم لياقته من حيث الآداب العامة .. وبعضها نجح نجاحا هائلا ..

و يجمع النقاد على أن مسرحيات درايدن تفوق مسرحيات شكسبير من ناحية الشعر والفلسفة ، فيما عدا مسرحية «في سبيل الحب» التي نقدمها اليوم ، فقد بلغ فيها الذروة!

( ف الأصل الشعرى الإنجليزي الكامل بطبيعة الحال ) .

#### شخصيات الرواية

 Marc Antony
 مارك أنطونى

 Cleopatra
 کليوباترة

 Ventidius
 قائل جيش أنطونى

 Charmian
 ( وصيفة كليوباترة )

 Alexas
 کليکساس ( خصی كليوباترة )

 Octavia
 أوكتافيا ( زوجة أنطونى )

 Dolabella
 گنظونى )

1

• عندما ترفع الستار نجد أنطونى متورطا فى حبه لكليوباترة ، تورط الحشرة فى نسيج العنكبوت !.. ونعلم من الحوار الذى يدور أن معركة « أكتيوم » قد انتهت بهزيمته على يد خصمه « أو كتافيوس قيصر » الذى يقل عنه ذكاء وبراعة ، وإن فاقه فى المران العملى .. فانزوى أنطونى فى معبد ( إيزيس ) فريسة لليأس المرير ، وقد أخذ يسائل قائده « فنتدياس » فى حسرة :

أنطونى : لماذا رفعتني الأقدار إلى السماوات، وجعلتني أتوهج

کالشهب، وأضىء حيثها ذهبت .. حتى استنفدت نارى وقودها فسقطت من عليائى ، كى يطأنى قيصر ؟!

لكن القائد فنتدياس يحاول أن يحيى فى زعيمه شجاعته الروحية القديمة ، فيهيب به :

فنتدياس: انهض، انهض بحق شرفك .. إن اثنتي عشرة فرقة تنتظرك .. إنهم يرجونك أن تسرع كي تتولى قيادتهم! تنتظرك .. إنهم يرجونك أن تسرع كي تتولى قيادتهم! ويرتفع إلى ذروة المجد والشهرة، والجنود على استعداد لأن يتبعوه .. ولكن بشرط واحد: أن ينبذ كليوباترة!.. بدونها يستطيع أن يصبح إمبراطور روما . أما إذا أصر على البقاء معها فإنه .. يفقد كل شيء! أنطوني : لا أريد أن أسمع كلمة سوء في كليوباترة!.. إنها تساوى في نظري أكثر من جميع الممالك التي أستطيع أن أغزوها!

لكن فنتدياس يوبخه ويلومه .. ثم يتوسل إليه .. وينافسه ..
 ويجادله .. حتى يتوصل أخيرا إلى جعل العاشق يخجل من نفسه ، ويبعث في أنطوني من جديد روح المحارب الباسل .

أنطونى : هيا بنا يا فنتدياس . لشد ما أنا مشتاق إلى مواجهة العدو مرة أخرى ، وإلى أن أسير فى مقدمة جنودى وأحصد حصاد « الميدان » النبيل ! • فإذا كان الفصل الثانى فقد علمت كليوباترة أن أنطونى يوشك أن يهجرها ، فتنازعها الغيظ واليأس ، حتى لقد ذهبت خادمتها « شارميان » إليه تستعطفه .. ولكن دون جدوى !

كليوباترة : ماذا أفعل ؟ وإلى من ألتجئ ؟ لقد تغلب فنتديـاس .. وسوف يخذلني أنطوني !

شارميان : لقد ذهبت إليه فوجدته محاطا بتاثيل الجنود الحديدية الخرساء الجامدة .. وكان يبدو عليه العزم والتصميم ، لكنه مع ذلك حين رآنى جفف دمعة كانت توشك أن تنحدر من عينيه ..

كليوباترة : إذن فقد بكى ؟ وهل وجدني أستحق دمعة ؟

شارميان : ورغم ذلك فقد ردنى خائبة ، وأبى أن يراك !

• وتبدو القضية في نظر كليوباترة خاسرة ، ميؤوسا منها ، لكنها لا تبدو كذلك في اعتقاد « أليكساس » خصى جلالتها ، الذي يرى أن من يفر من مواجهة المعركة هو الضعيف ! . . وهكذا يدبر أليكساس محاولة أخرى للتلاعب بعواطف أنطوني وإيقاد شعلة حبه لكليوباترة من جديد: أليكساس : ها أنذا أسمع أبواق جيشه تقترب \_ فإنه سيمر من هنا فهيا أفسحن لي الطريق كي أجرب معه حيلتي الأخيرة !

وحين يمر أنطوني أمام القصر في مقدمة جيشه ، يوقفه أليكساس
 كي يقدم إليه هدية من . . كليوباترة !

أليكساس: مولاتي كانت تود لو قدمت لك روحها ، لولا أنك أخذت هذه الروح من قبل . . لذلك فهي ترجوك أن تزين معصمك بهذا السوار المصنوع من الياقوت ، رمز قلبها الجريح . .

أنطونى : (وهو يحاول تثبيت السوار حول معصمه) نحن العسكريون لا نجيد استخدام أدوات الترف .. فهلا أعنتني على تثبيت هذا السوار ؟

أليكساس : الحق يا مولاى أننا نحن الندماء لا نجيد بدورنا هذه الأمور .. لا تجيد ذلك غير الأيدى الناعمة وحدها .. وخاصة يد تلك التي أرسلت السوار!

وهكذا يمهد « أليكساس » الماكر للقاء آخر بين مولاته وحبيبها ،
 الأمر الذي يثير حفيظة القائد فنتدياس وغيظه ..!

ويتم لقاء العاشقين :

أنطونى : ها قد التقينا يا سيدتى ...

كليوباترة : وهل يجب أن نفترق ؟

أنطونى : يجب..

كليوباترة: ومن الذى يوجبه ؟

أنطونى : توجبه أقدارنا القاسية ذاتها !

كليوباترة : نحن الذين نصنع أقدارنا ..

أنطونى : ولقد صنعناها بالفعل ، حين أحببنا كلانا الآخر حبا دمرنا معا . .

• ورغم كل توسلات كليوباترة واستعطافها ، ودموعها يصمم أنطونى على الرحيل ! . . لكنها تصمم بدورها على استبقائه ، فتعمد إلى استخدام سلاحها الأخير الفعال : تريه خطابا تلقته حديثا من روما ! أنطونى : بحق هرقل . . إنه خط أو كتافيوس ! . . انظر ، انظر يا فنتدياس . . إنه يعرض عليها استقلال مصر ، وضم سوريا إليها ، كهدية منه في مقابل أن تتخلى عنمى ، وتضم جيوشها إلى جيوشه لمحاربتي !

أليكساس: ( يخاطب نفسه ): إنه يضعف .. سوف ننتصر! فنتدياس: ( مستحثا مولاه ) هلا عدت إلى وطنك؟ إن شرفك،

وثروتك ومجدك .. في الميزان !

أنطولى : بل إن الثقة .. والشرف ه. والفضيلة .. وكل ما هو طيب يمنعنى من أن أهجر تلك التي تضع حبى فوق الممالك والتيجان ، وتأبي التفريط فيه رغم الوعد والوعيد !.. فامنحى أيتها الآلهة حبيبك الغرير ، قيصرك ، هذه اللعبة \_ هذا النموذج الصغير للكرة الأرضية \_ كى يلعب ويتسلى به .. وقولى له إننى لن أرضى بأقل من كليوباترة!

كليوباترة : إنها ملك يمينك!

فنتدياس : (ساخطا) أواه من النساء .. النساء ! إن الآلهة جميعا لا تملك للإنسان نفعا بقدر ما يملكن هن له من ضرر

• ويقر قرار أنطوني في النهاية على البقاء في مضر !.. ثم يخوض غمار معركة جديدة ضد جيش أو كتافيوس فينتصر عليه .. لكن البطل الظافر في الميدان يعود فيصير عبدا خاضعا لغرامه المشبوب بكليوباترة ، في الوقت الذي يظل فيه غريمه أو كتافيوس يهدد مركزه في مصر بواسطة قواته المتفوقة في العدد والعدة !

وهكذا يزداد قلق القائد المسن المخلص ــ الجنرال « فنتدياس » ــ على زعيمه أنطوني ، وشوقه إلى إنقاذه من حتفه الذي يسعى إليه ! . . وينضم إيه في جهاده حليفان قويان : إهما « دولابيللا » صديق أنطوني القديم ، و « أو كتافيا » زوجة أنطوني !

أما دو لابيللا فهو ضابط في الجيش الروماني الذي غزا مصر في غمار الحرب ضد أنطوني .. وأما أو كتافيا ، زوجة أنطوني ، فهي شقيقة القيصر أو كتافيوس حريمه إ وقد جاءت إلى مصر ومعها ابنتاها الصغيرتان كي تبذل محاولة أخيرة « شخصية » لإثناء زوجها أنطوني عن عزمه ، وعن غيه إ .. وقد فوض كلا من دو لابيللا وأو كتافيا في أن يعرض على الروماني الثائر شروط هدنة شريفة ، مؤداها أن القيصر أو كتافيوس على أتم استعداد لأن يعقد مع أنطوني صلحا دائما مقابل ثمن واحد : أن يهجر كليوباترة ! ونشهد موقف الزوجة المحبة ،

مُسه ثير موقت ذاته موقف المرأة الرومانية الأبية :

و كته في الشروط التي جئتك بها تكفل لك الاحتفاظ بشرفك مصونا ، بحيث تستطيع أن تقبلها دون أن يحمر وجهك خجلا أو يلحقك أى عار .. سأقول لأخى إننا قسد تراضينا ، على أساس أن يسحب هو جيوشه ، وتزحف أنت بجيوشك كى تحكم الشرق !.. أما أنا فيمكنك أن تلقى بى إلى البر فى أثينا ، ومنها أعود وحيدة إلى وطنى .. وثق أننى لن أشكو أو أتذمر .. يكفينى أن أحتفظ بلقب زوجتك ، وأنقذك من متاعبك ..

ويتأثر أنطوني من هذه الكلمات أشد التأثر .. لكنه يتساءل في

6 ---

طون : ولكن ماذا يكون مصير كليوباترة ؟؟ هل يجب أن تنبذ؟
إن واجب الشفقة يقف في صفك ، ولكن ألا يقف أيضا
في صف كليوباترة ؟

فتديس : العدل والشفقة في صف أو كتافيا .. أما كليوباترة فليس في صفها واحد منهما !

• وفوق ذلك فهناك طفلتا أنطونى ، اللتان يجب أن يحسب لهما حسد.. واللتان تناشدهما أمهما: « اقتربا منه يا أطفالى .. اركعا أمامه عدفحاه بأيديكما الضغيرة .. تحدثا معه .. تعلقى بذراعيه يا حراينا » .. وأنت يا « أنتونيا » احتضنيه من خصره .. فإذا أشاح عكمن . أو ألقى بكما على الرصيف ، فيجب أن تحتملا ذلك عكمن . أو ألقى بكما على الرصيف ، فيجب أن تحتملا ذلك

( أوديب الملك )

صابرتين .. فإنكما تمتان إلى .. وأنا قد خلقت كى أتعذب !» .
وينتج هذا الاستعطاف الأخير أثره المرجو ، فيقبل أنطوني أن يترك مصر \_ـ
وكليوباترة !\_\_ ويخاطب أسرته فى تأثر : « لقد غلبت على أمرى ..
خذيني يا أوكتافيا .. خذوني يا أطفالي .. قاسموني حياتي منذ الآن ،
حلوها و مرها ! » .

ولكن كليوباترة ليست مستعدة لأن تسلم سلاحها وتفرط في حبيبها .. بسهولة .. ومن ثم يدفعها يأسها إلى أن تسعى إلى أو كتافيا بنفسها .. وتلتقي الغريمتان :

أوكتافيا : لست في حاجة إلى أن أسأل هل أنت كليوباترة .. فإن عربتك الفاخرة ..

كليوباترة : ( مقاطعة ) توحى بأنى ملكة ؟.. كذلك أنا فى غير حاجة إلى السؤال عمن تكونين ..

أوكتافيا : رومانية !.. الصفة التي تستطيع أن تصنع الملكة .. وأن تخلعها !

وتتلو ذلك مبارزة لفظية حامية بين المرأتين ، تدافع فيها أو كتافيا
 بحرارة عن كرامتها ، وكليوباترة عن غرامها :

أو كتافيا : من دمر أنطوني ، غير كليوباترة ..؟! مَنْ حطَّ من شأنه في روما ، غير كليوباترة ..؟! من جعله محتقرا فيما وراء البحار ، غير كليوباترة ..؟! من جعل أطفاله أيتاما وجعلني أرملة تعسة ..؟! .. كليوباترة وحدها!

كليوباترة: لكن التي تحبه أكثر هي كليوباترة! من أجل حبى

لأنطوني، فقدت مجدى .. ولوثت شرف أسرتى المالكة .. حتى حياتى أفقدها عن طيب خاطر .. من أجل الذى أحبه !

أو كتافيا : إذا كان الأمر كذلك .. فليكن لك ما تريدين !

ونهذه ( القنبلة ) الأخيرة تغادر أو كتافيا المكان ، تاركة كليوباترة تندب حظها التعس . . ويبدو كأن الزوجة قد ربحت المعركة ضد العشيقة !

٤

• وفي هذه المرة يخشى أنطونى أن يعرض نفسه لمحنة اللقاء الأخير مع كليوباترة ، خشية أن يتكرر استسلامه لعاطفته .. فيرسل نيابة عنه صديقه دولابيللا كي .. يودعها !

ويصغى دو لابيللا ، بحزن مصطنع ، لأنطونى وهو يوصيه بأن يكون حازما \_ ورقيقا فى آن معا ! \_ حين يبلغ رسالة الوداع إلى كليوباترة ! أى طفل ساذج هذا النبيل أنطونى ؟ ولكن هل الرجال إلا أطفالا قد ازداد نموهم ؟ ويرثى دو لابيللا لحطام « الرجل الذى كان يوما جنديا جبارا » . . لكنه يتمنى لو كان هو فى مكانه ، حتى يدمره « الحب » مثله !

والواقع أن دولابيللا نفسه كان قد وقع في هوى كليوباترة .. التي تحاول أن تلعب ورقتها الأخيرة اليائسة مع أنطوني عن طريق إثارة غيرته ، بالتظاهر بأنها قد وقعت بدورها في هوى دولابيللا !

ويتعمد القائد الشيخ فنتدياس أن يسترق السمع إلى الحوار الحار الذي يجرى بين كليوباترة ودو لابيللا .. فيقع هو بدوره ــ ولكن للحظة عابرة فقط ــ أسير الإعجاب بها !.. فاز يملك إلا أن يحدث نفسه : «حتى أنا الذي أكرهها أحس نشوة خبيثة وأنا أتأمل حسنها الباهر .. الذي وأنا ألعنه .. أشتهيه !» .

لكن إعجابه هذا يزيده حرصا على أن ينقذ أنطونى من تلك المرأة بأى ثمن إ... ومن هنا ينقل نبأ خيانة كليوباترة ــ الظاهرية ــ لـه مسع دولابيللا ، ثم يستطرد : «إنها غير جديرة بحبك .. ودولابيللا غير جدير بثقتك .. فاتركهما كليهما وبادر بالعودة إلى روما .. »

أنطونى : أنت تهمها ؟ كليوباترتى ؟

فتتدیاس : کلیوباترتك ، کلیوباترة دولابیللا .. کلیوباترة کل رجل !

• وتحت وقع هذه الكلمات تجتاح كيان أنطوني جائحة من الغيرة المرة .. لكن هذه الغيرة تنتج عكس ما قصدت إليه كليوباترة تماما! فإن أنطوني يتهمها بخيانته ، مهددا ، متوعدا .. وعبثا تحاول الاحتجاج في حرارة بأنها إنما كانت تمثل مشهدا مصنوعا ، بتأثير انزعاجها على فقده وشوقها إلى استعادته ، فإنه يدفعها عنه في عنف صائحا :

أنطوني : اغربي عن وجهي إلى الأبد!

كليوباترة : كيف ؟ إلى الأبد ؟ لست أستطيع أن أبتعد عنك لحظة واحدة ، فكيف إذن . . إلى الأبد ؟

إذن لم يبق أمامها غير أن تموت !.. « وسوف أموت مسرورة بأنك
 كنت يوما ملك يميني »

• ويثير اعتزام كليوباترة الانتحار ذعر خصيها ( ألكساس ) فيبذل محاولة أخيرة يائسة كي يوفق بيت الحبيبين المتخاصمين .. ومن ثم يزعم لأنطوني أن كليوباترة قد قتلت نفسها فعلا ، آملا من وراء هذا الزعم أن يغمر الفرح قلب أنطوني حين يجدها حية ، فيغفر لها كل شيء .. وينسى كل شيء !

لكن خلق أنطوني العنيف يخلف الظنون مرة أخرى .. وهكذا بدلا من أن يحاول التثبت من صدق رواية ألكساس ، يقرر في اندفاع أن يضع حدا لحياته هو أيضا :

أنطولى : لقد سئمت الحياة .. وبت أتوق إلى تحرير نفسى من رقها !

فنتدياس : افعل ذلك بشجاعة .. بمحاربة قيصر!

أنطوفى : بشجاعة .. ولكن ليس بالقتال والحرب .. أواه يا فنتدياس ، في سبيل من أكافح الآن وقد ماتت مليكتي !؟ دع قيصر يستولى على الدنيا بأسرها ، فما عادت سوى دائرة فارغة منذ اختفت جوهرتها ، التي جعلت لنضالي قيمة .. إن شعلتي قد انطفأت .. فلأرقدن في باطن الأرض ، وأكف عن الحركة !

• ويسقط عامدا فوق حد سيفه ! فيجرح نفسه جرحا مميتا ، لكن

الموت السريع يفر منه!

وفيما هو راقد يتأرجح بين الحياة والموت .. تدخل كليوباترة ! · أنطوني : أحية أنت ما تزالين يا مليكتي ؟ أم أنني مت وأنت أول

ملك كريم رحم يلقاني في السماء ؟

كليوباترة: بل ما زلت حية .. وأنت يا حبيبي أنطوني ؟

أنطوني : إنى مثل رجل يعتزم سفرا عاجلا : كل متاعه قد حزم

وأعد .. ولكنه فى عجلته نسى جوهرة واحدة عزيزة

عليه ، فعاد من أجلها . . هكذا أنا ، من أجلك قد عدت!

كليوباترة : خذني يا حبيبي ، ولنرحل معا !



وتأمر وصيفتها بوضع جسم أنطونى المحتضر فوق العرش .. ثم
 تجلس بجواره ، وتضع الحية الرقطاء على ذراعها العارية !

ويدخل عدد من الكهنة والجنود على عجل. لقد أتوالينقذوا الحبيبين الملكيين من انتحارهما المرسوم ، لكنهم جاءوا متأخرين .. فوجدوهما فوق عرش الحياة ، وقد وحد بينهما الموت ! واحد من الكهنة ( منشدا ) : أنظروا كيف يتعانق العاشقان وهما يودعان الحياة ..

كما لو كانا يرسمان مثلا يحتذى لنصف البشرية!

شبح الابتسامة الباقى على شفتيها يظهر بوضوح أنها ماتت ــ مغتبطة ــ من أجل ذاك الذى عاشت معه ، وذهبت كى تؤنس وحدته فى عالم آخر!

فارقدا . . أيها الزوجان المباركان . . آمنين من مقادير البشرية ، لعصور طويلة آتية . .

بينها جميع أعاصير القدر تطير فوق قبركما ..

والمجد إلى أبد الآبدين سوف يروى أنه :

ما من عاشقين عاشا هكذا عظيمين .. وماتا هكذا حبيبين !

ستار

## كلمة أنصاف

### كليوباترة . . هل كانت من أعف نساء عصرها ؟

- والآن، وقد فرغت من قراءة قصتى كليوباترة: كما رواها التاريخ، وكما تخيلها الشعراء .. يحسن أن ألحص لك \_ إتماما للفائدة \_ بحثا نشره منذ أسبوعين فقط عالمنا الأثرى الكبير الأستاذ سليم حسن، وفيه أنصف ذكرى كليوباترة من كل ما ألصقه بها مؤرخو الرومان من تهم خلقية، (مدفوعين بحقدهم عليها من أجل نفوذها القوى على بطليهم العظيمين ٥ يوليوس قيصر ٥ و و أنطوني ٥) .. وقد أثبت الباحث الكبير في بحثه الحقائق الآتية، نوردها بنصها الحرف كما نشرها:
- تدل الآثار المصرية على أن قيصر قد « تزوج » من كليوباترة حسب التقاليد الفرعونية .. وبعد ولادة ابنهما قيصر ، تبعت كليوباترة « زوجها » قيصر إلى روما ، حيث مكثت إلى أن قتل عام £ £ ق . م .
- على أثر لقاء كليوباترة بأنطونى ــ أحد خلفاء قيصر ــ فى سفينتها الفاخرة بمياه طرسوس، وقع أنطونى فى هواها، ولم يلبث إلا قليلاحتى أصبح لها زوجا شرعيا . وبذلك نجحت كليوباترة فى درء الخطر عن الكنانة . وعلى هذه الصورة ابتدأت قصة انطونى وكليوباترة ، ، تلك القصة العالمية التى غطت على قصتها مع قيصر ، وقد ختمت بموتهما فى أحضان الحب الزوجى الطاهر عام ٣٠ ق . م، هزيمتهما فى موقعة و أكتيوم » . ولم نجد فيما وصل إلينا من الوثائق التاريخية أن اسم كليوباترة قد قرن باسم أى رجل آخر غير اسمى قيصر وأنطونى ، وقد تزوجت بهما على التوالى كا باسم أى رجل آخر غير اسمى قيصر وأنطونى ، وقد تزوجت بهما على التوالى كا دكرنا ، وعاشت مع كل منهما عيشة زوج عفيفة طاهرة الذيل مخلصة حتى مماتها ..

- والأمر الذى يسترعى النظر فى حياة كليوباترة أنها قبل أن تتصل بقيصر ، الأمر الذى أكسبها عداوة الرومان ، لم تسمع عنها كلمة سوء تمس شرفها . وحتى على أثر مأساة قيصر وفرارها إلى مصر لم تجد ألسنة أعدائها كلمة نابية تعيب سلوكها أو تدنس اسمها خلال الفترة بين هربها ومقابلتها لأنطونى ..
- وفى الحق أنها كانت المثل الأعلى للزوجية كما كانت أما رؤوما لأطفسالها الأربعة ، الذين أنجبتهم من قيصر وأنطونى . ويعتبر المؤرخون انتحارها نهاية مشرفة نالت الإعجاب التام حتى من أوكتافيوس نفسه ، ألد أعدائها ، حتى لقد نفذ إجلالا لها آخر وصية أوصت بها فشيعها بكل مراسم الملك إلى جوار زوجها أنطونى . .
- وليس لدينا وصف مفصل عن صورتها ، ولكن إذا قسناها على بنات جنسها
   من البطالسة فلا بد أنها كانت ذات بشرة بيضاء ، زرقاء العينين ، ذهبية الشعر . .
- فإذا وضعنا كليوباترة فى كفة الميزان بالنسبة لأخلاق عصرها فإنها تظهر
   أمامنا المثل الأعلى فى الطهر والعفاف ، بل تكون اسما على مسمى ، فمعنى اسم
   كليوباترة و فخر جنسها » !



# شخصيات الرواية

فولبون : ثرى بخيل متقدم في السن ترى بخيل متقدم السن

موسكا : خادمه الخاص و شريكه في مؤامراته Mosca

فولتور : محام من أصدقاء فولبون Volpone

كورباشيو: ثرى آخر مسن من أصدقاء فولبون Corbaccio

كورفينو: تاجر من أصدقاء فولبون .

سیلیا : زوجة کورفینو : دوجة کورفینو

بوناريو : ابن كورباشيو

زمان الرواية : القرن السابع عشر

مكان الرواية : مدينة البندقية ( فينيسيا ) بإيطاليا

# المؤلف

## ( 1777 - 1077)

لعل « بن جونسون » هو أقدر كتاب المسرح في عصر الملكة « إليزابيث » \_ الأولى \_ وإن لم يتلق تعليما يذكر ، فقد بدأ حياته « بناء » . . لكنه كان يجمع المعرفة في أوقات فراغه من حيث وجد إليها سبيلا !

وفى سن التاسعة عشرة تزوج من امرأة سليطة اللسان ، فضيلتها الوحيدة وفاؤها له ، فقضى حياته معها في شجار مستمر !

وقد بدأ « بن » يمارس هواية الكتابة للمسرح في سن مبكرة .. فأخرج وهو في الخامسة والعشرين روايته الكوميدية الأولى ، التي أطلق عليها : « كل إنسان في ساعات مرحه » ، وقد قام « شكسبير » بتمثيل أحد أدوارها ، وكان وقتئذ ما يزال « ممثلا » مغمورا ، قبل أن يسطع نجمه ككات !

ثم دخل بن جونسون السجن ، على أثر مبارزة كاد يحكم عليه من جرائها بالإعدام !.. وحين أطلق سراحه كتب كوميديا جديدة أطلق عليها « كل إنسان في ساعات غيظه » !..

ثم حاول أن ينتقل من كتابة الكوميديات إلى كتابة المآسي ، فكتب

عددا منها .. وذات يوم قاده حبه للشغب إلى دخول السجن مرة أخرى ، بعد أن كاد يفقد أنفه وأذنيه في الشجار !.. فلما أفرج عنه آخر الأمر عاد . إلى بيته ليجد أطفاله جميعا قد ماتوا !

وإزاء قسوة هذه المأساة زهد بن جونسون في كتابة المآسى فعاد إلى كتابة الكوميديات ، فقدم منها في هذه المرة روائعه الثلاثة المشهورة : فولبون ( الثعلب ) التي ألخصها لك فيما يلي ، و « الكيميائي » ، و « الشيطان حمار » ، و كلها حافلة بالسخرية والمرح . . وعلى إثر ذلك أنعم عليه بلقب « أستاذ فخرى في الآداب » من جامعة أو كسفورد . . و كاد ينعم عليه بلقب « سر » ، لولا أنه رفض هذا الإنعام ! . . ثم فقد آخر أطفاله ، فأصيب من جراء ذلك بنوبتي شلل قضت الأخيرة منهما على حياته في سنة ١٦٣٧ ، وكان في الرابعة والستين . .

واليوم، يرى زوار قبره هذه العبارة محفورة على القبر: « أيها العبقرى النادر . . بن جونسون! » .

يرفع الستار عن الفصل الأول فإذا نحن في مدينة « البندقية » ، حيث يعيش « فولبون » . . وهو رجل بلا زوجة ، ولا والدين ، ولا أولاد . . عواطفه كلها مركزة في ماله ، أو « ذهبه » ! . . ينظر إليه نظرة العابد إلى معبوده الأوحد ، أو ملاكه الحارس ! . . وفي سبيل زيادة رصيده منه يوما بعد يوم لا يتورع « فولبون » عن خداع جميع أصدقائه واحدا بعد الآخر ، موهما كلا منهم في كل مناسبة بأن صحته قد ساءت للغاية ، وأنه على وشك أن يموت ، بغية أن يمطره أصدقاؤه بهداياهم الثمينة ، وكل منهم يطمع في أن يسترد ما بذله أضعافا مضاعفة حين تؤول إليه شروة يولبون » في القريب العاجل !

.. فلندخل إلى منزل « فولبون » ، ولنصغ إلى نقاشه مع خلمه الطفيلي « موسكا » الذي يشاركه في تدبير مؤامراته وآلاعيبه :

فولبون : إن أصدقائي يمطرونني بالهدايا ، والجواهر ، والذهب .. آملين أن أموت في يوم قريب فتعود إليهم هداياهم عشرة أضعاف !.. وأنا أرحب بكل ما يقدمون ، متلاعبا بآن أستغل غفلتهم وسوء نواياهم ..! بآمالهم ، مغتبطا بأن أستغل غفلتهم وسوء نواياهم ..! موسكا : إن حكمتك يراقة مثل ذهبك !.. وحاشا لك أن تبدد

: إن حكمتك براقة مثل ذهبك !.. وحاشا لك أن تبدد ثروتك على ورثة جاحدين .. وإنما خير لك أن تنفقها على خادمك المتواضع موسكا !

وهنا يسمع طرق على الباب، فيخلع فولبون رداءه ويقفز إلى فراشه تم يبدأ في التأوه والأنين!.. إنه يمثل دائما دور المريض العاجز كلما أقبل واحد من أصدقائه العديدين الطامعين!

يدخل صديقه المحامى « فولتور » ــ أحد ورثته المنتظرين! ــ حاملا معه آنية ثمينة من الذهب الحالص، هدية لفولبون!

فولتور: لكم يؤسفنى يا سيدى أن أراك ما زلت ضعيفا .. فهلا قبلت منى هذا الطبق الأثرى المتواضع ، مع أطبيب تمنياتى !؟

فولبون : شكرالك يا فولتور . أنت طيب للغاية ( وبيدأ الماكر في السعال ، كأنما أصيب بنوبة مفاجئة ! ) .

موسكا ( وهو يعين سيده ويقف إلى جانبه ): إنه ينحدر بسرعة نحو . القبر ، وأنت يا سيدى وريثه !

فولتور : هل سجل في وصيته حقا أني وريثه ؟

موسكا : وبلا شريك يا سيدى ، لقد سجل ذلك في وصيته صباح اليوم . . وكنت أنا الذي أغريته بذلك ، لا تنس !

• ويسمع طرق جديد على الباب فيهرع فولتور إلى الخارج .. بينها يدخل زائر آخر ، « وريث » ثان من ورثة المريض الثرى يدعسى « كورباشيو »!.. وكورباشيو يأمل برغم تقدمه هو نفسه في السن بان يعمر بعد وفاة صديقه الكهل ، وأن يستمتع بثروته ..!

· كورباشيو ( إلى موسكا ) : كيف حال سيدك ؟

موسكا : سيئة جدا ..

( أوديب الملك )

**كورباشيو**: هذا حسن .. وهل كتب وصيته ؟

موسكا: كلا يا سيدى . . ليس بعد .

كورباشيو: إليك إذن هذه الحقيبة من الذهب ، قد أحضرتها له ..! ( يأخذ موسكا الحقيبة ويقترح خطة يصير كورباشيو بمقتضاها وريثا لفولبون ): وتتلخص الخطة فى أن يوصى كورباشيو بثروته كلها لفولبون ، كى يوصى فولبون بثروته كلها لكورباشيو !!

يعترض كورباشيو على الخطة فى البداية مستنكرا: « ماذا ؟ هل أحرم ابنى من ثروتى ؟ » .. لكن موسكا يقنعه بأن هذا الحرمان سوف يجعل فولبون ــ بدافع الشكران والاعتراف بالجميل ــ يوصى بدوره بثروته كلها لصديقه السخى ! .. ثم يختم الخادم إيحاءه الماكر قائلا لكورباشيو: « وعلى أى حال فأنت لن تخسر شيئا يا سيدى ولن تخاطر بشىء ، فمن المؤكد أنك سوف تعيش بعده ..! » .

وهكذا يقبل كورباشيو اقتراح الخادم الخبيث ، ويقول له : « موسكا ، إنى أشكرك من صميم قلبى .. وحين يموت فولبون سوف أكون لك نعم الوالد الذى يرعاك ..! » .

و بعد أن يجرد نفسه من ثروته على هذا النحو ، يخرج من بيت فولبون متحاملا على ساقيه المريضتين بالروماتيزم .. ولا يكاد يفعل حتى يقفز فولبون من فراشه صحيحا معافى كما كان ..!

فولبون : يا لك من ماكر ذكى .. تعال ، دعني أقبلك !

موسكا : عد إلى فراشك حالا ، فإنى أسمع طرقا على الباب !

• فيعود فولبون إلى فراشه وسعاله وتأوهاته !.. في الوقت الذي يدخل فيه التاجر « كورفينو »، وقد أحضر بدوره لفولبون هدية ثمينة من اللؤلؤ والماس ..!

كورفينو ( لموسكا ) : كيف حاله الآن ؟

موسكا : إن ساعته قد حلت!

كورفينو: ماذا ؟.. ألم يمت بعد ؟

موسكا : كلا ، لكنه في حكم الميت ..

• وبعد أن يقوم الزائر بالمظاهرة المألوفة تحية للمريض وإظهارا لعواطفه نحوه ، يهمس له موسكا مطالبا إياه بأن يفرح ويغتبط « فليس يليق بوارث أن يغالى في الحزن . » .

كورفينو: وهل أنا وريث فولبون ؟

موسكا : ولا أحد غيرك يا سيدى !.. وقد فضلك على الباقين تبعا

لنصيحتي أنا ..

كورفينو: أنت يا موسكا أعز أصدقائي ، ولسوف تكون سريكي في

الثروة ..!



• ويذهب كورفينو ، فيجلس فولبون وموسكا يستعرضان محصول اليوم: آنية من الذهب .. لؤلؤة .. وماسة .. حقيبة ملأى بالنقود الذهبية .. « ماذا ، إنها طريقة للثراء أنجع من سرقة تحف الكنائس! » .. ويعرب فولبون عن شوقه إلى الاحتفال بحظه المواتى ، بالرقص ، والابتسامات ، والقصف والمجون!.. فإن التعلب العجوز ما يزال متعلقا بمتع الحياة!.. بل إنه يريد من موسكا أن يجد له امرأة جميلة « لها وجه يأسر اللب! » .

موسكا : إن زوجة « كورفينو » تتوافر فيها هذه الشروط.. بشرتها أنصع من الثلج ، وشفتاها تغريانك بأبدية من القبل!

فولبون : وكيف أستطيع أن أراها ؟

موسكا : هذا غير ميسور ، فهى فى حرز حريز ــ مثل ذهبك ! ــ لا تخرج من البيت قط ، ولا تتنسم الهواء إلا مـن النافذة ..!

فولبون : ولكن يجب أن أراها يا موسكا ..

موسكا : إذن فلتذهب متنكرا ، لئلا يتعرف عليك أحد !

فولبون : متنكرا ؟.. حسنا .. هيا بنا .

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى مواجهة منزل كورفينو ، وقد تنكر فولبون فى زى تاجر دجال يبيع الأدوية والعقاقير السحرية .. وتنكر موسكا فى زى مساعدة .. فاعتلى الأول مقعدا خشبيا يقع أسفل نافذة كورفينو مباشرة وراح يروج لبضاعته ، ويعلن عن مرهم عجيب يشفى كل مرض أو علة تحت الشمس !

فولبون : إذا أردت أن تحيا سليما من كل مرض ، مستمتعا بالقوة والصحة اللتين تسران عشيقتك .. فاستعمل هذا المرهم وأنت تشفى من الألم والبؤس وكل مكروه ..!

ثم يعلن أنه سيقدم قارورة من المرهم السحرى لأول شخص يلقى
 إليه بمنديله . . وعلاوة على القارورة سوف يهدى إلى الشخص المذكور
 شيئا أثمن من كل ذهب العالم!

وتثير كلماته فضول « سيليا » زوجة كورفينو ، فتطل من نافذتها وتلقى إليه بمنديلها .. عندئذ ينحنى لها « فولبون » فى احترام ويقدم إليها هديته الموعودة : علبة من « البودرة » تحفظ لها جمالها وشبابها على الدوام ، فتظل أشبه بإلهة لا تشيخ قط!.. ثم يشرع الرجل فى إطراء جمال سيليا ... ولكن كورفينو يصل فى تلك اللحظة ويطرده بعيدا — دون أن يتعرف على شخصيته! — فيعود فولبون إلى داره ثملا بفتنة المرأة ، عاجزا عن مقاومة شوقه إليها!

فولبون : لست أطيق الحياة إلا إذا أعنتنى يا موسكا على الحظوة بتلك المرأة !.. خذ ذهبى وجواهرى ، وكل ما أملك ، - وأحضرها إلى هنا !

موسكا : سوف أبذل ما فى وسعى .. سأرحل فورا للبحث عن حيلة أحضرها بها .. فإذا نجحت ظفرت بالثراء والزهو بمقدرتي ..!

## ٣

فإذا كان الفصل الثالث فنحن في بيت كورفينو ، وقد جعل صاحب الدار يعنف زوجته ويؤنبها لأنها ألقت بالها إلى بائع العقاقير :

كورفينو : إنك قد وقفت وأصغيت بأذنيك الفضوليتين إلى غزل أولئك المهرجين ودعاباتهم ..!

سيليا : يا سيدى العزيز ، إنك تحرمنى من الخروج من باب المنزل ، فهل تنوى أن تحرم على النظر من النافذة أيضا ؟

كورفينو: بكل تأكيد .. سوف أخمد أنفاس الفسق قبل أن يسمع طرقا يستشرى ، وأعلق في رقبتك قفلا ثقيلا !.. ( يسمع طرقا على الباب ) والآن اذهبى ، ولا تدعى بصر إنسان يقع على وجهك الجلل بالعار!

تخرج سيليا من الغرفة في الوقت الذي يدخل فيه موسكا ، خادم
 فولبون ... إنه يحمل إلى كورفينو أنباء سيئة ، فإن صحة فولبون قد

تحسنت بفضل مرهم الدجال السحرى ، الأمر الذى شجع الأطباء فوصفوا للمريض علاجا تكميليا عجيبا : امرأة جميلة فياضة بالشباب والحيوية ، كى تضفى عليه من شبابها شبابا ..!

ثم يستطرد الخادم موسكا: « وفي سبيل هذه المهمة الكريهة انتدبت أنا . . ولقد تطوع أحد الأطباء بتقديم ابنته للمريض ، بغية أن يحظى برضاه قبل أن يكتب وصيته !!

ثم يناشد موسكا كورفينو بلهجة حارة :

موسكا : حل يا سيدى بينها وبينه إذا استطعت ، وإلا فقدت إرثك الهائل ! . . فهل تعرف امرأة من العاهرات ، أو حتى من ذوى قرباك ، كى توصيها بأن تسرع إلى المريض قبل ابنة الطبيب ، فتفسد علاج تلك و « تقتله » بعلاجها هى ؟ . . فكر فى واحدة . . تذكر ، تذكر ، تذكر يا سيدى بربك !

كورفينو: لقد اعتزمت أن أرسل روجتى إليه .. فما من إنسان يستطيع أن ينتزع الإرث من يدى بعد أن صار منى قاب قوسين أو أدنى !

• ويؤكد موسكا لكورفينو أن ما من شيء يمكن أن يحول الآن بينه وبين أن يغدو وارث فولبون الوحيد: ( في نكسته القادمة سوف نتركه يموت .. سنجذب الوسادة من تحت رأسه ، فيموت من ضيق التنفس! ) .

كورفينو : اذهب الآن إليه مسرعا وبشره بأنى سأحضر إليه زوجتى ... عسى أن تعين قبلاتها على إخماد أنفاسه!



فإذا كان الفصل الرابع فقد ذهبت سيليا \_ مجبرة ، برغم إرادتها \_ إلى منزل فولبون ، بصحبة زوجها كورفينو ، كى ينفذا خطة موسكا ! . . فى الوقت الذى يكون فيه عند المريض زاثر آخر هو « بوناريو » ابن كورباشيو . . لقد أخبره موسكا أن أباه يعتزم حرمانه من الميراث لصالح فولبون ! . . ولكى يثبت اتهامه يعمد موسكا إلى إخفاء الابن فى دولاب ، كى يسمع بأذنيه دليل خيانة أبيه ! . . وحين يصل كورفينو وزوجته سيليا يضطرب موسكا ويخشى افتضاح ألاعيبه وألاعيب سيده لكل من « الورثة » الطامعين فى الإرث ! . . لكنه يعتمد على ذكائه لإنقاذ الموقف ، فيحدث بوناريو :

موسكا : لقد أرسل والدك يقول إنه سوف يتأخر بعض الوقت ، فإذا أردت أن تقضى فترة الانتظار في غرفة المكتب التي في آخر هذا الممر فستجد فيها ما يروقك من الكتب المسلية التي تعين على قتل الوقت ..

وإذ يتخلص من بوناريو على هذا النحو ، يستدير إلى كورفينو وسيليا .

موسكا : لم أكن أتوقع قدومكما مبكرين هكذا ..

كُورِفِينُو : أُرْدَت أَن أُسبق الطبيب وابنته إلى الظفر بالحظوة لدى سيدك ..!

• وعندئذ يهنئ موسكا كورفينو على ذكائه وحسن تصرفه ، ثم ينسحب الرجلان تاركين سيليا وحيدة مع فولبون !.. فتنظر الحسناء باشمئز از إلى الشيخ المحتضر الراقد على الفراش .. ولكن فجأة يقفز المريض من فراشه ويهرع إليها ، فتتراجع مذعورة صارخة .. ويسمع بوناريو الصرخة فيخف لنجدة المستغيثة .. وفي الهرج الذي يسيطر على الموقف يصاب موسكا بخدش من سيف بوناريو .. ثم يفر الأخير مع المرأة التي أنقذها .. في الوقت الذي يصل فيه أبوه كورباشيو .

كورباشيو: ماذا جرى ؟

موسكا : ابنك يا سيدى .. لقد وقف على نيتك بشأن تجريده من الميراث \_ ولا أدرى من الذى أطلعه على الأمر \_ فجاء كي يتجسس عليك وأقسم أن يقتلك !

كورباشيو: هذا التصرف يزيدني إصراراً على تجريده من الإرث ..!

وفي هذه اللحظة يدخل فولتور فيستنج فورا أن شيئا غير
عادى يأخذ مجراه في البيت .. وحين يطلب من موسكا إيضاحا ، يومئ
إليه هذا كي يخلو به ليفضى إليه بجلية الأمر .. فإذا فعل قال له :

موسكا : لا تخش شيئا .. فإنك ما تزال الوريث الوحيد!

فولتور : إذن فما هذه المؤامرة الخاصة بوصية كورباشيو وحرمانه

ابنه من الميراث ؟

موسكا : إن غرضي الأوحد هو أن أكفل لك ميراثا مزدوجا ، من

ثروتي هذين الشيخين اللذين على عتبة الموت !

ثم يخرج الجميع فينفرد موسكا وفولبون :

فولبون : ماذا نفعل الآن ؟

موسكا : عسى أن تنصلح الأحوال ..

فولبون : إنى أتوجس شرآ . . وأحس برطوبة زنزانة السجن تتراءى

لى في أفق المستقبل!

۵

لكن زنزانة السجن لا تكون من نصيب فولبون وموسكا .. بل من نصيب بوناريو وسيليا .. فقد أبلغ السلطات عن الأول أبوه ، ووشى بالثانية زوجها ، مدفوعين كليهما بطمعهما في ثروة فولبون ..!

وتشاء المصادفات أن يكون المدعى العام الذى يتولى اتهام الشابين المقبوض عليهما هو فولتور ، الذى يطمع بدوره فى ثروة فولبون ويبغى إرضاءه بالانتقام له من المرأة التى استعصت عليه .. كيما يظل وريثه الوحيد !... ومن ثم فهو يلفق ضد المتهمين ــ بوناريو وسيليا ــ قضية زنا !.. ويصدق المحلفون رواية الاتهام ، فإن المتهمين لا يملكان شاهدا على نقاء صلتهما غير ضميريهما .. بينا يتحالف ضدهما ــ زورا ــ جميع نقاء صلتهما غير ضميريهما .. بينا يتحالف ضدهما ــ زورا ــ جميع

الشهود: كورباشيو، الذي يبغى التخلص من معارضة ابنه في وصيته.. وكورفينو، الذي يحقد على زوجته لأنها أبت الحضوع لشهوات المريض الثرى وصرخت مستغيثة فأفسدت المؤامرة!.. ثم موسكا، الذي يبغى الانتقام من الشابين اللذين أفسدا خطة سيده بشأن الاستئثار بثروة والد الفتى، والحظوة بالمرأة الفاتنة ..!

ويصل فولبون \_ آخر شهود الإثبات \_ إلى قاعة المحكمة محمولا على محفة ، وقد اتخذ هيئة المحتضر المشرف على الموت!

فولتور (مترافعا ضد المتهمين): وهذا يا حضرات المحلفين هو الشيخ الفانى الذى يريد بوناريو أن يصوره فى صورة الرجل المغتصب .... فتأملوا عينيه، ويديه .. ثم احكموا: أهما يدا رجل يقوى على أن ينهش نهدى امرأة ؟

كلا بالطبع !.. ويقتنع القضاة بأدلة الاتهام ، وبأن فولبون شيخ عاجز يحتضر ، ومن أجله يستحق الباغيان الآثمان أن يعاقبا .. ومن ثم يحكمون على بوناريو وسيليا بالسجن ، ويشكرون فولتور على الخدمة الكبرى التي أداها للعدالة بتقديمهما للمحاكمة ...!

#### ٦

فإذا كان الفصل الأخير فنحن في منزل فولبون مرة أخرى .. حيث نراه فرحا بالخدعة التي انطلت على القضاة ، إلى حد أنه يصرح لخادمه موسكا بأنه قانع بهذه النتيجة أكثر مما لو كان قد حظى بالمرأة الحسناء !.. وإمعانا في اللهو والمزاح يعمد البخيل إلى إعداد وصية مؤقتة يوصى فيها

بكل ثروته لخادمه موسكا ، ثم يعمل على نشر شائعة قوية تزعم أنه قد مات !.. وهو يبغى من ذلك أن يرى بنفسه تأثير هذا النبأ على كل من أصدقائه المنافقين !

ولا يكاد هؤلاء الطامعون فى الإرث: كورباشيو، وكورفينو، وفولتور، يسمعون النبأ حتى يهرعون إلى بيت مورثهم كالطيور المندفعة إلى الشرك! ويختبئ فولبون فى مكان يرقب منه موسكا وهو يتلو على ثلاثتهم وصية سيده المتوفى!

وتدهش الوصية ثلاثتهم ، ويثير غضبهم وغيظهم إيصاؤه بثروته لخادمه !.. لكن الخادم لا يأبه لهم ولا يعبأ بغضبهم ، وإنما يعاملهم ويخاطبهم بكل احتقار :

موسكا: والآن اذهبوا، أيها التعساء المتكالبون على المال ... وأقفلوا أفواهكم، وإلا رويت مؤامراتكم لعامة الناس .. فلو نطقتم بحرف لأطلقت لسانى من عقاله كى يشبعكم تشهيرا و « تشنيعا » .. فعودوا إذن إلى بيوتكم والزموا عقر دوركم ... وموتوا بغيظكم !

لكن الأنذال الثلاثة الذين خابت آمالهم يأبون التسليم لغريمهم دون قتال !.. ولا سيما فولتور ، الذى يصر على أن ينار من موسكا ولو وشى بنفسه هو فى غمار انتقامه . ومن ثم فهو يتوجه إلى القضاة الذين أدانوا بوتاريو وسيليا كى يعترف لهم ببراءة الشابين ..!

وفى المحكمة يلتئم شمل جميع أطراف القضية ، بما فيهم موسكا بل وفولبون ، الذى تنكر فى زى ضابط بوليس ..!

فولتور : يا حضرات القضاة .. لقد حبكت خيوط اتهامي لهذين التور : الشابين بدافع الطمع ... لذلك يطالبني ضميري الآن

بالتعويض والتكفير ، والاعتراف بأسماء الأثمة الحقيقيين . إنهم موسكا و ..

فولبون (ضابط البوليس): (ينتحى بفولتور جانبا ويهمس له) صه... لقد كلفني موسكا أن أصارحك بأن فولبون ما يزال حيا .. وإنك ما تزال وارثه الوحيد!

فولتور ( حائرا ) : والآن ، ماذا أفعل ؟...

فولبون : اعدل عن روايتك .. قل إنك مريض ، وإنك لاتفقه شيئا مما رويته الساعة ..!

• وإزاء ذلك يتكلف فولتور أنه أصيب بنوبة صرع . ! . وحين يفيق منها يزعم أنه لا يعرف بماذا تفوه منذ برهة . . . ويؤكد أنه لم يقصد أن يدلى بأى اعتراف ، وليس لديه ما يقوله . . ثم يضيف إلى ذلك أن موسكا برىء من كل إثم ، وأن فولبون لم يمت . . !

فولبون ( إلى موسكا ) : لقد حسبت أن كل شيء قد ضاع ، فإذا كل شيء بخير . . فتعال يا موسكا . أخبرهم أنى ما زلت على قيد الحياة !

لكن موسكا ، الذى يملك فى يده الوصية المؤقتة التى ترك له فيها سيده كل ثروته ، يأبى أن يطيع رب نعمته .. ويصر على أن فولبون قد مات!

موسكا ( يواجه المحكمة ) : يا حضرات القضاة ، إن سيدى المحبوب « فولبون » قد مات ، ولقد عدت توا من تشييع جنازته !

فولبون : بل إن فولبون ، أيها السادة الأماجد ، ما يزال حيا ! ( ثم ينزع أدوات تنكره ) أنا فولبون ، وهذا خادمي الخائن .. والآن أيها السادة ، ما دمنا جميعا حاضرين . فلنعد النظر فى عقوبة كل من المتهمين ..!

• ويسود المحكمة جو من الهرج والمرج ، والدهشة ، والتعليقات ، والاعترافات ، ثم يتضح الموقف كله على حقيقته .. وعلى ضوئه يطلق سراح بوناريو وسيليا ... ويحكم على موسكا بالسجن المؤبد .. وعلى كورفينو بأن يقاد في زورق يخترق قنوات البندقية كلها وقد وضعت على رأسه أذنا حمار !.. ويشطب اسم فولتور من جدول رجال القانون ويفصل من منصبه .. أما كورباشيو فيحكم عليه بالنفى المؤبد في أحد الأديرة .. وأما فولبون ــ النرى البخيل ــ فيزج به في السجن وتصادر ثروته لصالح الدولة ..!

ويتوجه رئيس المحكمة إلى الحاضرين بالقول:

ـــوالآن، وقد افتضح أمر الجميع، فسحقا لهم.. وليتعظ كل من رأى عقابهم على رذائلهم البغيضة، ويأخذ من قصتهم درسا لا ينسى: إن الاشرار يتغذون كالوحوش حتى يسمنوا .. ثم يكون مصيرهم: الذبح !



هذه مسرحية رائعة ، من أدل أعمال ( كامى ) على عبقريت و فلسفته . إنها إهابة مؤثرة بضمير الإنسانية الذى اختلط فيه اليوم الخير والشر . إنها صرخة المثل الأعلى يتحدى هوان الواقع ، وصورة الشرف المطلق فى ثورته على فساد الدنيا . وياله من صراع حى عنيف هذا الذى يجتاح عقلك وقلبك بعد أن تشاهد فصول هذه المأساة الخمسة ، وتشاطر أبطالها مصيرهم . . ثم تتأمل فى الختام حكمة ( شكسبير ) العميقة التى اقتطفها المؤلف من ( روميو وجوليت ) ، وصدر بها نص مسرحيته عندما نشره سنة ، ١٩٥ ، أثناء تمثيلها للمسرة الأولى على مسرح

« آه الحب ! آه الحياة ! لا الحياة بل الحب في الموت ، .

• اتخذ ( كامى ) مادة مسرحيته من حادثة حقيقية وقعت فى روسيا سنة ١٩٠٥ ، هى اغتيال ( الدوق الأكبر ١٠ ولا يعنينا مقدار انطباق هذه الرواية على التاريخ المعروف ، ولن نبحث هنا عن مبلغ الدقة التى تحراها الكاتب فى استعادة الملابسات والشخصيات ، لأن ( كامى ) لا يسعى كما كان يسعى أدباء المسرح ( الرومانتيك ) فى القرن التاسع عشر إلى توخى الصدق فى تصوير الماضى وتكلف الأمانة فى بعث ( أوديب الملك )

تفاصيله وألوانه وخصوصياته . فلقد انقضى ذلك العهد الذى كان يقنع فيه المسرح بأن يكون « وصفيا » أو « تاريخيا » ، وأصبح الكاتب حرا لا يتقيد بحذافير الواقع ، وإنما يستعير من كتلة الأحداث الغاشمة بعض المواقف التي تتيح له التعبير عن آرائه وإبراز غايته ، ومجرد إطار يصب فيه مناقشاته معنا ، على ألسنة أبطال قد يخلقهم خلقا دون الاعتاد على سند مأثور .

وترتفع الستارة عن مقر الثوار الذين دبروا تلك المؤامرة. ولا نرى أمامنا ــ والصمت يخيم على المكان ــ سوى رئيس هذه الجمعية السرية « بوريس أنينكوف » والمجاهدة « دورا » ، ينتظران ، جامدين . وتهم « دورا » بالكلام ، إلا أن « أنينكوف » يومىء إليها بأن تسكت ، وهو يصيخ إلى وقع أقدام تقترب من الباب . ونسمع على الباب طرقة ثم طرقتين ، وهى الإشارة التى اصطلح عليها أعضاء الجمعية . ويفتح الرئيس فيرحب بالفتى القادم ويعانقه ويدخله .

إنه « ستيبان » ، الذى اعتقلته الحكومة القيصرية منذ ثلاث سنوات ، غير أنه استطاع الفرار من منفاه إلى سويسرا ، وحضر اليوم فى الموعد الذى أنبأ به رفاقه . لقد أقبل من بلد حر ولكنه لم ينعم فيه بحياة الحرية ، بل يقول :

ـــ إنه منفى آخر ، فالحرية منفى مادام على الأرض إنسان واحد مستعبد . لقد كنت هناك طليقا ، ولكنى لم أمسك عن التفكير في روسيا وفي عبيدها .

وهذا كلام رجل مثالى . غير أن « ستيبان » ساخط ناقم ، يلتمس القيام بعمل فعال ، ويتلهف إلى قتل الطاغية ، ويسأل عن الخطة الموضوعة ، ويطالب بأن تعهد إليه هذه اللجنة التنفيذية للحرب الاشتراكى بإلقاء القنبلة على الدوق الأكبر « سيرج » ، لأنه يريد أن يشفى غلته ويثأر لنفسه . وبعد نقاش مقنع ، يخضع على الرغم منه لأمر رئيس المنظمة ، الذى كان قد كلف بإلقاء القنبلة عضوا سواه ، يدعونه « يانك » ويلقبونه بالشاعر ، واسمه الكامل « ايفان الفياييف » .

و يحضر « فوانوف » ، وهو المكلف بإلقاء القنبلة الثانية ، فيحيى « ستيبان » فرحا بعودته ، ويعرض على الرئيس رسما دقيقا يبين الطريق الذى سوف تسير فيه مركبة « الدوق الأكبر » من القصر إلى المسرح ، وهو طريق يمر بمركز اللجنة هذا . هل تم إذن تقدير كل شيء ؟ ويسأله « ستيبان » :

- \_ والجواسيس ؟
  - ــ كثيرون .
- ـــ هل يخيفونك ؟
- \_ لست أخاف شيئا ، ولكني أضيق بهم لأنني لم أتعود الكذب .
  - \_ إن الجميع يكذبون ، ويجب عليك أن تجيد الكذب .
- \_ ليس ذلك بالشيء السهل . حينها كنت طالبا ، كان زملائي يهزأون بي لفرط صراحتي ، وانتهى الأمر بفصلي من الجامعة .

ــ لاذا ؟

ــ فى محاضرة التاريخ ، سألنى الأستاذ كيف بنى « بطرس الأكبر » مدينة « بطرسبرج » ، فأجبته : « بالدماء والسياط » ... وبعد أن طردونى أدركت أنه لا يكفى أذ نفضح الظلم بألسنتنا ، بل علينا أن نضحى بحياتنا فى مكافحته . وإنى اليوم لسعيد .

\_ غير أنك تكذب .

\_إنى أكذب لأضلل العيون ، ولكنى لن أكذب منذ أن ألقى القنبلة .
ويطرق الباب طرقتين ثم طرقة \_ بترتيب معكوس ، فهكذا يروق لـ
« يانك » أن يتصرف فى الاصطلاح وأن يداعب رفاقه \_ فتنطلق
« دورا » لتفتح له الباب ، ثم يدخل متأبطا ذراعها . وتقدم إليه
« ستيبان » ، وتجلس بجواره قبالة الآخرين .

ومن حديث هذا الفتى الرقيق نفهم مثاليته الخالصة العالية ، وهى تسمو على مثالية « ستيبان » التى يشوبها الحنق والبغض . إنه مبتهج لاقتراب اليوم الذى يعدم فيه بيده « الدوق الأكبر » ، بل ويتوق إلى ضرب القيصر ذاته . لقد أنفق شهرين يتنكر فى أساليب الباعة المتجولين ، وبلغ من إتقانه محاكاتهم أن رفاقه زعموا أنه سوف يبيع جياد مركبة « الدوق الأكبر » بعد أن يصرعه ! . . ويأخذ عليه « ستيبان » إسرافه فى التندر والأصالة ، وإنشاده أبياتا من شعره العاطفى الأنيق ، وعزمه \_ إذا خانته يده \_ على أن يهلك « الدوق الأكبر » بطريقة وعزمه \_ إذا خانته يده \_ على أن يهلك « الدوق الأكبر » بطريقة مضمونة هى أن يلقى بنفسه تحت أقدام الجياد ، أسوة باليابانيين الذين ينتحرون ولا يستسلمون . وفى ذلك يعارضه « ستيبان » قائلا له من أقصى الغرفة :

\_ إقدامك على الانتحار دليل على الاعتزاز بنفسك ، وليس للثائر الحقيقي أن يحب نفسه .

\_\_ الثائر الحقيقى ؟ لماذا تشك فى إخلاصى ؟ هل أنا أسأت إليك فتخاطبني بهذه اللهجة ؟

\_ إنى لا أحب أولئك الذين يلحقون بالثوار بحثا عن تسلية .

ويتدخل الرئيس لفض النزاع بينهما ، فيقول ﴿ ستيبان ﴾ :

\_ أجل إننى عنيف . ولكن البغض عندى ليس لعبا ولهوا . وما اجتمعنا هنا لنتبادل علائم الإعجاب بأنفسنا ، بل لنفلح في التدبير ونصيب المرمى .

ويعاتبه ( كالياييف ) ــ يانك ــ في رفق :

ـــ لماذا تهينني ؟ من الذي قال لك إنني كنت أشكو السآمة والملل خارج المنظمة ؟ إنما أنا أحب الحياة يا أخي ، ولقد التحقت بالثورة لأنني أحب الحياة .

\_ أما أنا فلا أحب الحياة ، بل أحب العدالة التي هي فوق الحياة .

\_ كل امرىء يخدم العدالة على قدر ما يستطيع . وينبغى أن نتقبل اختلاف طبائعنا ، وأن يحب بعضنا بعضا .

\_\_ لا يمكننا ذلك .

\_ فماذا تفعل إذن بيننا ؟

... لقد جئت لأقتل شخصا ، لا لأحبه وأثنى على اختلاف طبعه عن طبعي .

ـــ ولكنك لن تقتله وحدك ، ولن تقتله بلا معنى . لسوف تقتله

بالاشتراك معنا ، وباسم الشعب الروسي . وهذا هو ما يبررك .

ـــ لست فى حاجة إلى تبرير . فلقد تبررت ذات ليلة بلذع السياط فى المنفى . ولن أطيق . .

وهنا يهيب بهما « أنينكوف » أن يثوبا إلى العقل ، وأن يتذكرا أن الجميع في المنظمة أخوة قد آلوا على أنفسهم أن يتحدوا في سبيل إعدام الطغاة وتحرير الوطن .

وتعود « دورا » بعد أن سألت بواب المنزل عن رسالة يتوقعونها ، وتقبل على « كالياييف » :

- \_ ما خطمك ؟
- \_ لقد تصادمنا . إن « ستيبان » لا يحبني .
- \_ إنه لا يحب من الناس أحدا . ولكنه سوف يصبح أطيب نفسا بعد أن تتم الثورة . لا تحزن !
- إنى حزين . إنى في حاجة إلى أن تحبوني جميعا . لقد تركت كل شيء من أجل المنظمة ، فكيف أحتمل أن ينصرف عنى إخوتي ؟ يبدو لى أحيانا أنهم لا يفهمونني . وما ذنبي ؟
  - \_ بل إنهم يحبونك ويفهمونك . « ستيبان » هو الشاذ .
- -- كلا، إنهم يحسبونني مجنونا. ومع ذلك فإنى أومن مثلهم بمبادئ الإصلاح، وأريد مثلهم أن أضحى بنفسى، وأستطيع أن أكون مثلهم كتوما فعالاً. غير أن الحياة لا تزال تعجبنى، فإنى شغوف بالجمال والهناء. ولهذا بعينه أكره الاستبداد. كيف عسانى أشرح لهم ؟ إنها الثورة، نعم، ولكن الثورة من أجل الحياة ...

هكذا يستبشر الفتى الرقيق ، ويصبو إلى جمال الحياة ونعيم الحب ، ويدعو إلى الخير والتآخى ، فما باله يصر على قتل إنسان ؟ إنه لا يقتل إنسانا بل يريد أن يقتل الاستبهاد الذى تجسم فى ذلك الإنسان . إنه لا يعتبر نفسه مجرما آثما ، بل مصلحا يسعى إلى أن يطهر الدنيا ــ بالقتل ــ من أسباب القتل . إنه لم يرض الاضطلاع بدور السفاح إلا لتكتسى الأرض من بعده بالأبرياء . ولقد اختار أن يلقى القنبلة لأنه يرى فى تعرضه للخطر ما يكفى لتبريره ، ولأنه يأمل أن يلقى حتفه ، فيصبح موته فى سبيل المثل الأعلى تكفيرا عن ذنبه .

وما أشد ما يطرب عندما تبين له « دورا » التي تحبه وتعجب به - أنه يضاعف من كرمه إذا لم يمت ساعة الاغتيال مباشرة ، واستطاع أن ينتظر حتى يموت بحبل المشنقة ، فهو على هذا النحو كمن يموت مرتين مقابل ميتة شخص واحد ، ويبيت بذلك في مصاف الأبرار الذين لا لوم عليهم و لا تثريب . وإنها لتتمنى مثله هذا المصير ..

ويحضر بواب المنزل الرسالة ، فيفضها الرئيس « أنينكوف » ويعلن أن « الدوق الأكبر » سيذهب إلى المسرح فى اليوم التالى ، ويأمر « دورا » إذن بأن تجهز القنبلتين ، كى يلقى بهما « يانك » و « فوانوف » على العربة على التعاقب . وتخرج دورا تتبعها نظرات « يانك » الحانية ، ولا يلبث هذا أن يستدير صوب « ستيبان » قائلا فى و داعة :

ــــ سأقتله .. فرحا !

● وتسفر ستارة الفصل الثانى عن نفس المكان ، فى مساء اليوم التالى . و لم يبق فى وكر الثوار إلا « دورا » ، والرئيس ، الذى يطل من النافذة ويترقب ما يرسل إليه «ستيبان» من إشارات اصطلحا على معانيها . أجل ، إن الأمور فى الخارج على ما يرام : « يانك » فى مكمنه القريب مزودا بقنبلته اليدوية ، وكذلك « فوانوف » من ناحية المسرح .

وها هى ذى مركبة « الدوق الأكبر » تقبل من بعيد ، ويعلو ضجيج ركضها إذ تمر أمام البيت ، ثم تبتعد وتخفت الأصوات . بعد ثوان لا بد أن يدوى الانفجار . . ويصيخان ، غير أنهما لا يسمعان شيئا ! ويطول انتظارهما . . . لا شك أن المركبة قد وصلت الآن إلى المسرح ، فما سر هذا السكون ؟ وتؤول « دورا » تلك الظاهرة بأن الشرطة قد ألقت القبض على « يانك » متلبسا ، وتجزع لهذا الخاطر ، وتلتاع :

ــ أيعتقلونه دون أن يفعل شيئا ؟ لقد كان مستعدا لأن يفعل كل شيء ! كان يزيد السجن والمحاكمة .. ولكن بعد أن يقتل « الدوق الأكبر » . ما هكذا !

وسرعان ما يرجع «فوانوف» ـ ومعه القنبلة الثانية ـ حائل الوجه لاهثا . ويستجوبه الرئيس ، غير أنه لا يدرى ماذا طرأ . فلقد كان ينتظر تفجير القنبلة الأولى ، ولكنه شاهد المركبة تجتاز مكمن « يانك » آمنة ، فأخذه العجب ، وظن أن الرئيس قد غير الخطة في آخر لحظة ، ومضى يعدو نحو المقر . .

ثم يدخل ﴿ يانك ﴾ هامي الدمع ، ذاهلا ، فيقول :

ـــ إخوتى ، اغفروا لى ! لم أستطع .

وتعطف عليه « دورا » وتواسيه ، أما الرئيس فيسأله في صرامة :

ـــ ( يانك ) ، هل تولاك الحوف ؟

فيصحو الفتى من ذهوله ويحتج : ـــ الخوف ؟ كلا ! وليس لك الحق فى أن تظن بى هذا الظن .

ويطرق البساب طسارق بالتوقيم المعهود . إنه « ستيبان » ، الذي يشرح الأمر للرئيس ، دون أن يخلو كلامه من شماتة :

كان فى المركبة طفلان ، هما ابنة
 وابن أخنى « الدوق الأكبر » .

ـــ لقد كان مقدرا أن يخرج « الدوق الأكبر » بمفرده ، حسب الأنباء التـــى استقاها « أورلوف » ..

\_ و كانت معهم « الدوقة الكبرى » أيضا . ويظهر أن هذا العدد قد فاق طاقة شاعرنا . من حسن الحظ أن الجواسيس المبثوثين لم يلحظوا شيئا .

ويمواصل الرئميس حديثمه مممع



« ستيبان » بصوت خفيض ، على حين تستقر الأنظار على « يانك » الذى يرفع عينيه صوب « ستيبان » ، قائلا وكأنه في حلم :

ما كنت أتوقع .. كنت أتوقع كل شيء ما عدا الأطفال . هل تأملت طفلا ؟ هل تستطيع أن تحتمل نظرة الطفل البريئة الجليلة ؟ .. عندما لاحت المركبة كان قلبي يخفق طربا ، وازداد خفقه باقترابها ، وأنا متلهف إلى أن أثب وأضحك . وبالفعل جريت نحوها . وفي تلك اللحظة رأيتهما .. ولم أر « الدوقة الكبرى » .. لم أر سواهما .. ولست أدرى إذ ذاك ما حل بي . لقد ارتخت ذراعي وارتعدت ركبتاى . وعندما استعدت وعيى كانت المركبة قد فارقتني .

ويدافع الفتى عن نفسه دفاعًا إنسانيا مخلصا:

- لست جبانا . لقد أردت أن أقتل نفسى على إثر هذا الفشل ، بالقنبلة ذاتها . ولكنى عدت إليكم لأقدم إليكم حسابى أولا ، ولأنكم قضاتى ، فاحكموا على أو لى ، أنتم الذين لا تخطئون .

ثم يقترح أن يمضى فيتربص للمركبة في طريق رجوعها من المسرح، ويتعهد بأن يبيدها بمفرده، إذا قررت اللجنة وجوب إعدام الطفلين. فما عليه إلا أن يصدع بالأمر الذي يصدره الإجماع.

و يحتدم الجدل حول تلك القضية الرهيبة . وما العمل ؟ هل ينبغى أن يلقى « يانك » قنبلته هذه الليلة ، قبل فوات الفرصة ؟ لا بد من حسم الموضوع . و يحدد الرئيس وجهة النظر الشكلية ، معترفا بأن المنظمة هي المسئولة عن بلبلة إرادة « يانك » لأنها لم تنبئه بوجود أطفال . ثم يبدى كل عضو رأيه ، فيؤيد موقف « يانك » كل من « فوانوف » و « دورا » ،

ويعارضهما ( ستيبان ) :

\_\_ أتدرون ماذا يعنى هذا القرار ؟ إنه يعنى أننا ضيعنا شهرين من التربص والتدبير بلا جدوى ، وأن رفيقنا « إيجور » قد اعتقل بلا جدوى ، ورفيقنا « ريكوف » قد شنق بلا جدوى ، وأننا ينبغى أن نعيش أسابيع أخرى مرهقة ، يشتد فيها علينا الخطر والسهر والتوتر ، قبل أن تحين الفرصة المواتية .

\_ إنك لتعلم أن « الدوق الأكبر » سيذهب إلى المسرح مرة أخرى بعد يومين .

... بعد يومين يمكن أن يلقى خلالهما القبض علينا .

ويهم «كالياييف » بأن ينطلق بقنبلته ، إلا أن « دورا » تستبقيه ريثها تسأل « ستيبان » :

ـــ هل تستطيع يا « ستيبان » أن ترمى بالرصاص طفلا ، وعيناك مفتوحتان ؟

\_ أستطيع إذا أمرتني المنظمة بذلك .

\_ فما بالك تغمض عينيك ؟

وينكر أولا أنه أغمض عينيه ، ولكننا رأيناه يغمضهما ، ثم يعلل حركته تلك غير الإرادية بأنه إنما أراد أن يتمثل المنظر ويجيب طبقا لما يتمثله .. فتنبهه « دورا » إلى ضلاله :

\_\_ افتح عينيك وافهم أن المنظمة سوف تفقد سلطتها وتأثيرها فى الرأى العام إذا تهاونت لحظة واستباحت أن تسحق الأطفال بقنابلها . \_ إن قلبى لا يتسع لهذه البلاهات . يوم نعزم على نسيان الأطفال

سوف نصبح سادة العالم وسوف تنتصر الثورة .

ــ وفي ذلك اليوم ، سوف تبغض الإنسانية جمعاء ثورتنا .

\_ لا يهمنا غضب الإنسانية علينا ، ما دمنا نحن نحب الثورة حبا يكفى لأن نفرضها على الإنسانية جمعاء ، حتى نخلصها من عبوديتها .

\_ وإذا رفض الشعب \_ الذي من أجله نكافح \_ أن نقتل أطفاله ، هل نضرب الشعب أيضا ؟

ــنعم ، إذا اقتضى الأمر ، نضرب الشعب إلى أن يفهم , إنني أنا أيضا أحب الشعب .

\_ الحب لا يتخذ هذا الوجه.

ــ ما أنت إلا امرأة ، وصورة الحب لديك صورة تعسة .

ــ ولكني أرى العار في صورته الصحيحة .

\_ لقد تجرعت أنا العار يوم ضربونى بالسياط .. فأى عار أخشاه الآن ؟

ولا يستطيع الرئيس أن يقر تطرف « ستيبان » ، فيذكره بأن مئات من الإخوة فى الجهاد قد استشهدوا ليعلم الناس أن هناك أشياء غير مشروعة . كلا ، إن الغاية لن تبرر الوسيلة .

غير أن ١ ستيبان » لا يقتنع ، فهل عساهم يتركون ــ فداء لهذين الطفلين ــ ألوفا من أطفال الشعب يموتون جوعا ؟ إذا رضى الثوار أن يعيشوا في الحاضر وأن يتخلوا عن المستقبل ، فعليهم أن يتبعوا طريق المحبة والإحسان ، لا طريق الثورة التي تريد علاج جميع الأدواء ــ أدواء الحاضر والمستقبل . ويرمى هذا المتطرف رفاقه بأنهم لا يؤمنون بالثورة

وبحقوقها . فيخرج ( كالياييف ) من صمته ليرد عليه :

--- إننى خجل من نفسى ، ولكنى لن أسمح لك بالاسترسال . أنا ارتضيت أن أقتل لكى أقوض الاستبداد ، لا لأتشيع لمثل تطرفك الذى يبشرنا باستبداد جديد ، إذا استقام له الأمر يوما فإنه خليق بأن يجعل منى سفاحا لا قاضيا .

- ـــ سيان أن تكون قاضيا أو سفاحا ، ما دام الغرض هو تحقيق العدل .
  - ـــ ليس بالعدل وحده يحيا الناس .
  - ــ إذا سلبوهم الخبز ، فهل يحيون بغير العدل ؟
    - ـــ إنهم يحيون بالعدل وببراءة الضمير .
- \_ البراءة ؟ لعلى أعرفها ، ولكنى اخترت أن أتجاهلها ، وأعمل على أن يجهلها الناس حتى يجيء اليوم الذي ينطبق فيه اسمها على معنى أكبر .
- \_ حتى يجىء ذلك اليوم ، الذى يبين لك ولى أيا منا كان على حق ، ربحا نضطر إلى أن نضحى بثلاثة أجيال ، بين حروب وثورات طاحنة . ويوم يجف سيل تلك الدماء على الأرض سنكون \_ أنت وأنا \_ قد اختلطنا بترابها منذ زمن طويل .
  - \_ سوف يخلفنا إذ ذاك غيرنا . وإنى لأحييهم تحية إخوة لنا .
- \_\_ غيرنا ؟.. إنما أنا أحب هؤلاء الذين يعيشون اليوم على الأرض مثلى ، وهم الذين أحييهم . إننى من أجلهم أناضل وأتقبل الموت . وأما من أجل مدنية مقبلة بعيدة ، لست واثقا من وجودها ، فلن أمضى لألطم إخوتى . لن أضيف إلى الجور الذى شب ، جورا لم يولد .. ماذا عسى أن يقول أبسط فلاحينا في هذا المقام ؟ سيقول إن قتل الأطفال عمل يخل

بالشرف . ولو قدر لى أن أعيش وأرى الثورة تنصرف عن الشرف ، فلسوف أنصرف عنها ..

ويحتد الجدل بين « يانك » و « ستيبان » ، فيلفت الرئيس نظر الأخير إلى أن الأغلبية لا ترى رأيه . ويرضخ « ستيبان » وهو يحتج قائلا : « ومع ذلك فالثورة لا تناسب رقاق النفوس . إننا قتلة ، وقد اخترنا أن نكون قتلة . » .

فيصيح « يانك » : « كلا . إننى اخترت أن أموت لكى لا يسود القتل والاغتيال . إننى اخترت أن أكون بريئا . » .

على المنظمة إذن أن تنتظر يومين وأن تتأهب لإعادة الكرة . وينصت الجميع عندما تمر في الشارع مركبة « الدوق الأكبر » ، إلى أن يخفت ضجيجها . ثم يقول « فوانوف » لـ « دورا » : « فلنبـدأ مــن جديد . . » .

ويردف ( ستيبان ) ، في ازدراء: ( نعم ... في سبيل الشرف! ) .

## ٣

• ويجمعنا الفصل الثالث بالثوار في وكرهم مرة أخيرة قبيل تنفيذ المؤامرة . ولكن أين « فوانوف » ــ الذى سيلقى القنبلة الثانية بعد « يانك » ؟ ــ إنه في حاجة إلى شيء من الراحة والنوم ، كما يقول الرئيس ، ولا بأس عليه ، فما زالت أمامه فسحة من الوقت تقارب نصف ساعة .

ها هو ذا يدخل ، بيد أنه لم يفلح في انتجاع الراحة ، بل و لم ينم طيلة الله البارحة . وإذ يسأل أن يختلى بالرئيس ليفضى إليه بأقوال خاصة ، يخرج الآخرون . ويحاول أن يتكلم وقد انفرد بأنينكوف ، غير أن الخجل يعقد لسانه . فيستجوبه الرئيس :

\_ ألا تريد أن تلقى القنبلة ؟

ــ لن أستطيع .

ويعترف باستحيائه من القيام بهذا العمل ، وبخوفه أيضا . فما باله قد انطلق أمس الأول لتفجير القنبلة ذاتها متهللا قوى العزيمة ؟ لقد كان فى حقيقة الأمر يجاهد نفسه ، وقبع فى مكمنه ينتظر المركبة وهو منقبض الفكين ، متوتر الفرائص ، يهيب بشجاعته ويشحن بها قلبه شحنا ، ثم لاحت المركبة وسرعان ما مرت به وخلفته ، فأدرك إذ ذاك أن « يانك » لم يقذف قنبلته ، واستولت عليه قشعريرة رهيبة ، وسرى فى أوصاله برد لم يفارقه منذ تلك اللحظة . وعبثا يهون الرئيس عليه ، ويؤكد له تارة أن دبيب الحياة لا بد أن يعود إلى الجسم الحى ، ويعرض عليه تارة أخرى أن يعدل عن إلقاء القنبلة وأن يرحل للاستجمام شهرا فى ربوع فنلندا ثم يؤوب نشيطا لاستئناف الإرهاب ..

\_ كلا . إنى إذا لم ألق القنبلة الآن ، فلن ألقيها أبدا .

\_ لاذا ؟

ـــ إننى لا أصلح للإرهاب . لقد ثبت لى هذا . ومن الخير أن أغادر صفوفكم ، وأن أجاهد في لجان الدعاية .

ـــ ستتعرض فيها لنفس الأخطار .

ـــ نعم ، ولكن المرء يستطيع أن يعمل بها وهو مغمض العينين ، يجهل الأهوال الفاجعة .

ويتدفق كالمحموم يشرح وجهة نظره: فما أيسر الاجتاعات والمناقشات، وإبلاغ القرارات إلى اللجان التنفيذية، إذا قورن هذا كله بوقوفك بين إخوتك من أبناء الشعب وهم يحثون خطاهم فى المساء ليجدوا فى بيوتهم العشاء الساخن وحنان الزوجة وأنس الأولاد، وأنت صامت كتوم جامد، تشد ذراعك إلى الأرض قنبلة ثقيلة، وتحصى الدقائق والثواني لتوقيع حركة مرهقة. إن السجن، بل والموت، لأخف وطأة على نفسه من أن يحمل حياته وحياة شخص آخر فى يده التى تقبض على القنبلة، وأن يخوض بهما أوار اللهيب! وهو على كل حال يريد أن يكفر عن ذنبه بأن يتقبل فى تواضع حدود مقدرته، وأن يخدم الثورة ولو فى مكان الضعفاء.

و يعفيه الرئيس من العمل . ويفضل الفتى الرقيق أن ينصرف دون أن يودع زملاءه ، فهو لا يقوى على أن ينظر إليهم . ثم يضيف :

\_ قل لـ « یانك » إن انهیاری لیس نتیجة لتردده ، وإننی أحبه ، كما أحبكم جمیعا .

ويعانقه ( أنينكوف ) قائلا :

ـــ وداعا أيها الأخ . سوف ينتهى كل شىء ، وسوف تسعد روسيا . ويخرج « فوانوف » ، وكأنه يلوذ بالفرار ، وهو يقول :

\_ أى نعم .. لتسعد ! لتسعد !

. ويعلن الرئيس للأعضاء رحيل رفيقهم ، وإنه هو الذي سيلقي القنبلة

بدلا منه ، بينها يحل محله فى الرئاسة « ستيبان » ريثها يعود بعد مصرع « الدوق الأكبر » ــ إذا قدر له الإفلات من الشرطـة ــ ويحاول « ستيبان » أن يكون هو قاذف القنبلة ، حتى يصب معها نقمته على الطاغية ، ولكن الرئيس الحازم لا يرجع عن قراره ، بل يخرج مع « ستيبان » إلى حيث يسلمه التعليمات الأخيرة .

وهنا يجلس « يانك »، وتقترب منه « دورا ». ويتحدثان في أسى عن « فوانوف »، فتقول « دورا » :

- ـــ سوف يعود .
- ... لا . لو كنت في مكانه ، لغمرني اليأس .
  - ـــ والآن ، ألا يتطرق إليك اليأس ؟

فيجيب في حزن:

ــ الآن .. إني معكم ، وإني سعيد كما كان هو من قبل .

ــ فلماذا أراك كاسف البال ؟ لقد مضيت أمس الأول مشرق الوجه طروبا . واليوم ..

\_ اليوم أعلم ما لم أكن أعلم . لقد كنت أحسب أن القتل شيء سهل ، تكفى فيه الفكرة والشجاعة . ولكنى لمست أنه لا سعادة مع البغض . كل هذا الشر .. هذا الشر في نفسي وفي نفوس الآخرين .. اغتيال ، وجبن ، واعتداء!.. أوه ، بل ينبغي أن أقتله .. غير أنني سأ واصل السير إلى النهاية ، إلى ما وراء البغض !

ـــوماذا وراء البغض؟ لا شيء .

\_ هناك الحب .

) أوديب الملك ) BIBLIOTHECA ALEXANDRINA هكتبة الاستخدوية

- ــ ليس الحب هو اللازم .
- کیف تقولین هذا یا « دورا » ، وأنا أعرف قلبك ؟
- لقد كثر سفك الدماء حولنا ، واشتد العنف . ولا حق في الحب لمن يخلصون للعدالة ، وإنما عليهم أن يكونوا مثلي ، فأنا مرفوعة الرأس ، ثابتة العينين . وأين مكان الحب في القلوب الشماء ؟ إن الحب يحنى الرؤوس في رفق ، أما نحن فقد تصلبت أعناقنا .
  - ـــ إنما نحن نحب شعبنا .
- أجل ، إننا نحبه .. حبا تعسا . فنحن نعيش فى عزلة عنه ، رهن أو كارنا وأفكارنا . والشعب ، أتراه يحبنا ؟ وهل يدرى أننا نحبه ؟ إن الشعب صامت . ويا له من صمت !
- ــ بل إن ذلك هو الحب: إعطاء كل شيء، وتضحية كل شيء، دون مقابل .
- ربحا . ذلك هو الحب المطلق ، الذى ينطوى على نفسه ، والذى يلتهمنى . . إلا أنى أتساءل أحيانا : أليس الحب شيئا آخر ، غير حديث المرء المتواصل مع نفسه ؟ أليس له أن يكون جوابا نتلقاه ممن نحب ؟ إننى أتخيل هذا . . أتخيل الشمس تسطع ، والرؤوس تنحنى فى رفق ، والقلب يخلع كبرياءه ، والأحضان تنفتح . آه ! « يانك » . . ليتنا نستطيع ولو ساعة واحدة \_ أن ننسى بؤس العالم المستحكم وننقاد لما نهوى . . هل يخطر لك ذلك ؟
  - ــ نعم يا ١ دورا ، ذلك اسمه الحنان .
- \_ إنك تحدس كل شيء يا حبيبي . ولكن ، هل تعرف الحنان حقا ؟ هل تحب العدالة وأنت تحنو ؟

فيصمت الفتي ، وتسترسل صاحبته :

ـــ هل تحب شعبنا بعواطف الرحمة والود ، أم بغلة الثأر والثورة ؟ ولا يخرج عن صمته ، فتردف سائلة بصوت خفيض :

ــ وأنا ، أتحبني بحنان ؟

فينظر إليها وما زال صامتا ، ثم يجيب :

- لن يحبك امرؤ مثل ما أحبك .

ـــ أعرف هذا . ولكن أليس خيرا أن نحب كما يحب الناس ؟

ــ إننى لست كسائر الناس . فأنا أحبك كما أنا .

\_ أتحبني أكثر مما تحب العدالة ، وأكثر مما تحب المنظمة ؟

ــ أنا لا أفضل بينك وبين المنظمة والعدالة .

\_ أجل ، ولكنى أناشدك أن تجيبنى : أتحبنى فى وحدتك حب الحنان ، حب الأنانية ؟ أتحبني غير عادلة ؟

\_ لو كنت غير عادلة وأحببتك ، فإنني في هذه الحال لا أحبك أنت .

\_\_\_إنك لا تجيب . قل لى فقط : هل كنت تحبنى ، لو لم أكن بين أعضاء المنظمة ؟

\_ فأين عساك أن تكوني ؟

\_\_ أيام دراستي ، كنت طالبة مرحة حسناء ، وكنت أقضى الساعات الطوال أتنزه هائمة حالمة . هل تحبني خفيفة غير مبالية ؟

ويتردد ( يانك ) ، ثم يقول هامسا :

\_ بودى أن أقول لك : نعم .

فتهتف به « دورا » ، وقد انتصر قلبها :

- إذن فقلها . قل « نعم » يا حبيبي إذا كنت ترى أن ذلك هو الحق . « نعم » في وجه العدالة ، وأمام بؤس الشعب المكبل . . « نعم » ، « نعم » ، رغم احتضار الأطفال ، وضرب السياط ، وشنق الرقاب . . وتنطلق كالطائر الأسير من قفصه ، ويعلو صوتها إلى حد الصياح ، وهي تريد أن يسمعها حبيبها ، وأن يكون إليها دعاؤه ، فوق عالم قد باء بالشر والجور . . فينهرها « يانك » :

ـــاسكتى ! إن قلبي لا يحدثني إلا عنك . ولكنى بعد لحظات لا يجوز لى أن أضطرب .

فتثوب إلى وعيها ، وتتذكر المؤامرة ، وتنفجر ضاحكة وكأنها تشهق بالبكاء ، وتحتذر بأن التعب هو الذي دفعها إلى الهذيان ، وتعترف بأن دفء الحنان حرام عليهم ، ثم تشيح بوجهها شاكية راثية :

\_ رحمتاه للأبرار!

فينظر إليها متحسرا ويقول:

ــ ذلك ما قسم لنا ، فالحب مستحيل علينا . ولكني سأقتل « الدوق الأكبر » ، وإذ ذاك يحل السلام ، فتنعمين به وأنعم .

ــ السلام ؟ ومتى نجده ؟

\_ غدا .

ويدخل « أنينكوف » و « ستيبان » . لقد حانت ساعة التنفيذ ، فيتنفس « يانك » الصعداء ، ويفارق صاحبته دون أن يقبلها . إنها قريبة منه ، ولكنهما لا يتلامسان :

ــ و داعا « دورا »!

\_ ما أروع انتصابه فى مشيته ! لقد كنت مخطئا حين شككت فى عزيمة « يانك » . ولكن حماسته لم تكن تعجبنى .. إن روحه ضعيفة ، ويده قوية . إنه خير من روحه . لا بد أنه سيقتل « الدوق الأكبر » ، بل وسيبيده .

ويتحدث « ستيبان » بلغة الحقد الذي يأكل قلبه ، فلا تجيبه « دورا » ، وإنما تلوذ بالصمت . ولكي يدفعها إلى الكلام ، يسألها : \_\_\_\_ أتحسنه ؟

غير أن « دورا » تقارن بينه وبين « يانك » ، فتلومه على استسلامه للضغينة . وإذا بستيبان \_ بعد أن يقاوم سخطه لحظة \_ ينفجر منددا بالحب ، مكشراعن أنياب حقده ، وإذا به يشق قميصه ، ويكشف لهاعن صدره وهو يصيح :

ــــ انظری ! هذه آثار السیاط ! هذه آثار حبهم !.. هل تحتقریننی الآن ؟

وتتراجع « دورا » مرتاعة ، ثم تدنو منه فجأة وتقبله ، قائلة : \_ ومن يحتقر الألم ؟ إنى أحبك أيضا .

ويلتمس « ستيبان » العذر لعنفه بطول الجهاد وقسوة المنفي ، وبآثار

السياط هذه التي لا يستطيع أن يغتفرها ، فهو عاجز عن الحب .

وتدق الساعة السابعة ، فيتجهان إلى النافذة ويتطلعان . ولا نلبث حتى نسمع من بعيد ركض مركبة مقبلة . ويخفت صوت المركبة ، ثم يدوى انفجار هائل . فتثب « دورا » ، وتخفى وجهها فى كفيها . إنه انفجار واحد ، أى أن « أنينكوف » لم يلق القنبلة الثانية . ويتهلل « ستيبان » :

ــ لقد أصابه « يانك » ! مرحى ! مرحى أيها الشعب! وترتمى عليه « دورا » باكية ، تردد :

\_ إننا نحن الذين قتلناه! أنا التي قتلته!

\_ قتلنا من ؟ أتعنين « يانك » ؟

\_ بل ( الدوق الأكبر ).

وينتهي الفصل بهذه العبارات الموجزة العميقة التي يختلط وراءها الرثاء للجاني والمجنى عليه ، ويلتقي في نبراتها تكبير الشماتة وتقريع الضمير .

٤

• وينقلنا الفصل الرابع إلى سجن ( بوتيركى ) ، بعد انقضاء أسبوع . ونرى « يانك » في زنزانته ، ينظر إلى الباب ، الذي يفتحه الحارس ويدخل منه ، ومعه سجين يحمل دلوا لتنظيف المكان . ويدور بين السجين الشيخ وبين « يانك » حوار غريب . يسأله الفتى :

\_ ما اسمك أيها الأخ ؟

- ـــ ( فو کا ) .
- \_ و لماذا سجنوك ؟
  - \_ قتلت .
- \_\_ لأنك كنت جائعا ؟
- \_ لا . لأنى كنت عطشان ، فشربت ، وقتلت بالفأس ثلاثة .
  - ويتفرس فيه « يانك » ، صامتا . فيسأله المذنب :
    - \_ هل تجفل مني ؟
    - \_ لا . لقد قتلت أنا أيضا .
      - کم ؟
      - واحدا .
    - \_ بسيطة! لا بأس عليك.
    - \_ لقد قتلت « الدوق الأكبر ، سيرج » .
- ـــ « الدوق الأكبر » ؟.. إنك من الأعيان !.. وهـل عقوبــتك شديدة ؟
  - \_ شديدة . ولكن ، كان لا بد من قتله .
- \_ لماذا ؟ هل أنت من أهل البلاط ؟.. لا شك أنك قتلته من أجل المرأة ، أليس كذلك ؟ فإنك شاب وسم ..
  - \_ إنني اشتراكي ثائر .

ولا يفهم هذا الفلاح ما الذي دفع « يانك » إلى القتل ، لا سيما وهو من أبناء طبقة راقية تتمتع بنعيم الحياة وتمتلك الأرض . فيشرح له الفتى : \_\_ إنما الأرض لك . ولقد كثر البؤس فكثرت الجرائم . ويوم يقل

البؤس ، سوف يقل الإجرام . ولو كانت الأرض حرة ، لما كنت أنت هنا .

- حرة أم غير حرة ، لا يجب أن يسرف المرء في شرب الخمر .
- ... أجل ، ولكن المرء يشرب لأنه يشعر بالهوان ويريد أن ينساه . لسوف يأتى عهد لا يمتاز فيه غنى على فقير ، بل سنكون جميعا إخوة ، وستجعل العدالة قلوبنا ناصعة شفافة .
  - ـــ وماذا يصنعون بالذي يقتل « دوقا أكبر » ؟
    - ـــ يشنقونه .

فينصرف السجين الشيخ عن « يانك » ، بينها يغرق الحارس في الضحك . ويا هول ما يقف عليه « يانك » ، عندما يستجوب هذا السجين عن سر نفوره ! ذلك إنه هو المكلف بشنق المحكوم عليهم بالإعدام ، ومقابل قيامه بعمل الجلاد ، يخففون عقوبته :

- عن كل شخص أشنقه ، يخصمون من مدة سجني سنة . إنها عملية مربحة !
  - . ألكي يغفروا جرائمك ، يدفعونك إلى اقتراف جرائم أخرى ؟ . هذه ليست جرائم ، ما دام محكوما عليهم بالشنق .
    - ـــ وكم مرة فعلت ذلك ؟
      - ـــ مرتين .

فيتراجع « يانك » .. ويخرج الحارس و « فسوكا » . ويدخسل « سكوراتوف » ، رئيس الشرطة . و نعلم أنه هو الذي أرسل « فوكا » للتأثير على أعصاب « يانك » . ولكنه يظل رابط الجأش ، ويلتزم

الصمت العيوف إزاء هذا الثرثار الأنيق الذي يحتال لينتزع منه اعترافا .

- ــ جئت أقدم لك الوسيلة التي بها تنال العفو .
  - ـــ إنى أرفض عفوكم .
- \_\_ اسمع لى على الأقل: قد تكون محقا في أفكارك ومبادئك ، ما عدا جناية الاغتيال ..
  - \_ إنى أنهاك عن استخدام هذه الكلمة! فأنا أسير ، لا متهم .
- ـــ ولكن هناك إضرارا ، أليس كذلك ؟ دعنا من منصب « الدوق الأكبر » و من السياسة ، ألا تجد أن النتيجة هي مقتل إنسان ؟
- \_\_ لقد ألقيت القنبلة على طغيانكم ، و لم ألقها على إنسان . لقد نفذت فيه حكما صدر عليه .
- \_\_ تريدأن تقول إن ( الدوق ) لم تقتله قنبلة ، وإنما قتله مبدأ , ولكنك أنت الذي أطحت برأسه ، فأنت في حاجة إلى العفو عن شخصك .
- \_\_ شخصى أرفع من منالك وأرفع من سادتك . إنكم تستطيعون أن تقتلونى ، لا أن تدينونى . أراك تبحث عن نقطة ضعف عندى ، لتدفعنى منها إلى الشعور بالعار وإلى الندم والبكاء . هيهات ! ليس لكم شأن بشخصى ، وإنما لكم بغضى كله وبغض إخوتى .

وإزاء تشبث المجاهد الصالح بمبادئه ، وتكتمه على إخوانه ، يأتيه الرجل الداهية عن طريق قلبه ، ويقرعه قائلا :

لقد أمكن للمبادئ أن تقتل « الدوق الأكبر » ، ولكنها عجزت عن قتل الأطفال . فهل تستحق هذه المبادئ العاجزة أن نقتل من أجلها « الدوق الأكبر » ؟ ويهم ( يانك ) بأن يجيب ، فيقاطعه رئيس الشرطة :

ــ سوف تفضى بجوابك للدوقة الكبرى .

ـــ « الدوقة الكبرى » ؟

ــنعم. زوجته. إنها تريد أن تحدثك ، وأن تحولك عن رأيك، لأنها

سيدة تقية .

\_ لا أريد أن أقابلها.

غير أنه لا يلبث حتى تدخل عليه «المدوقة الكبرى» تجللها ملابس الحداد، ويتصبب في كلامها الأسى. إنها تقول له:

\_ أظن أنك مثلى . فأنا أتــأ لم ، ولا أستطيع أن أنام . ولن أجد مــن يحدثني عن الجريمة خيرا من القاتل .

\_ أية جريمة ؟ إنى لا أذكر سوى تنفيذ حكم عادل .

ــ ما أشبه صوتك بصوته ، عندما كان يقول : ( هذا عدل » ! لقد كان يقضى بين الناس ، ولعله كان يخطىء مثلك أحيانا ..

ـــ لقد كان يمثل الظلم الذى يئن منه الشعب منذ أجيال ، وكان مقابل ذلك يتمتع بامتيازات . أما أنا ، فإذا كنت قد



أخطأت ، فالسجن والموت هما أجرى .

وتفطن المرأة إلى أنه مرهف الضمير ، فتنكأ جرحه بوصف الفقيد في ساعاته الأخيرة ، وكيف كان إنسانا عاديا ، ثم تحاول أن تشككه في براءة الطفلة التي تورع عن قتلها ، وتخلص من ذلك إلى أنه إنسان خاطىء ، تعوزه رحمة الله :

ــ هل لك أن تصلى إلى الله معى ، وأن تتوب توبة نصوحا ؟ ــ دعينى أستعد للموت . إننى إذا لم أمت ، أصبحت في عداد السفاحين .

وتستلينه بالعطف عليه ، فلا يلين :

\_إنك عدوتى . وأبشع من الجريمة يا سيدتى أولئك الذين يدفعون إلى الإجرام بريئا . . وما أشد سعادتى حينا أصعد إلى حبل المشنقة وأنصرف عن عالمكم القبيح ، وأستسلم للحب الذي يملؤني .

... ما هو هذا الحب الرهيب ؟

... إن الحياة عذاب ما دامت تفصل بين بعضنا وبعض . وقد يتاح لللأحباء أن يجمع شملهم حبل المشنقة .

وندرك أنه يفكر فى « دورا » .. وإذ تقول له الدوقة الكبرى : « لقد كنت أحب الرجل الذى قتلته » ، يغفر لها إيلامها إياه بهذا الحديث . وينتهى اللقاء بإصرارها على أن تطلب له العفو من الله ومن الناس ، وبإصراره على رفض ذلك العفو .

و يعيد الكرة رئيس الشرطة ، إلا أنه لا يفلح في تهديد الفتي بعزمه على أن ينشر في الصحف اعترافات ينسبها إليه حتى يظن رفاقه أنه قد خانهم .

٥

- ــ لن يصدقوك .
- ـــ لماذا ؟ ألم تتسرب إلى نفوسهم خطيئة ؟
  - \_ إنك لا تعرف حبهم!

● ويعود بنا الفصل الخامس إلى الثوار ، في وكر هم جديد ، وقد أظلم الليل . وفي السكون المطبق ، نرى « دورا » تذرغ الغرفة بخطوات تنم عن الاضطراب والتلهف . ثم يقرع الباب بالاصطلاح المعهود ، فيفتح الرئيس ، ويدخل « ستيبان » ومعه « فوانوف » . ويلقسي « ستيبان » آخر الأنباء التي استقاها من رفيقهم « أورلوف » ، الذي استدعى هذا المساء إلى السجن بوصفه ضابطا ، مما يوحى بأن إعدام « يانك » سينفذ الليلة .

ويتعلل الرئيس بأن القيصر قد يصدر عفوه عن « يانك » . غير أن عفو القيصر لا يكون إلا جوابا لطلب يتقدم به المحكوم عليه ، و « دورا » تؤكد ــ رغم ما أشاعته الصحف ــ أن « يانك » لم يستجد العفو . وهي تستمد يقينها هذا من أقوال التحدى الرائعة التي أدلى بها في المحكمة ، ثم تصيح في وجه رفاقها :

- ـــ افرحوا ، فلسوف يموت !
- وينتهرها « أنينكوف » ، فتسترسل :
- ــ بلي ! لو عفي عنه ، لصدقت رواية ﴿ الدوقة الكبرى ، التي تصمه

بالندم والخيانة . وأما إذا مات فسوف تصدقونه وتحبونه .. آه ، ما أغلى ثمن حبكم !

وهنا يطمئنها ( فوانوف » بأنه لم يشك لحظة في ( يانك » ، بل وما دفعه إلى اللحاق بهم لاستئناف الجهاد سوى عبارات ( يانك » الكريمة أمام قضاته ، فلقد قال : ( ستكون ميتتي هي احتجاجي الأكبر على عالم الدمع والدم ، وهي التي ستكلل عملي بنقاء المبدأ الخاص » . ويخرج الرفيقان لملاقاة ( أورلوف » ، ويبقى الرئيس و ( دورا » التي لا تملك نفسها :

- ـــ الموت ! المشنقة ! آه !
- ــ نعم ، أيتها الاخت . ذلك هو الحل الوحيد .
- - \_ طريقنا أيضا يؤدي إلى الحياة .. حياة الآخرين .
- \_\_ حياة أحفادنا ، نعم . . ولكن « يانك » في غيهب السجن ، وحبل المشنقة بارد . . ولعله قد مات الآن ، بينا يعيش الآخرون ! . . وإذا لم يؤد مو ته إلى حياة الآخرين ، وكان شنقه عبثا ؟

## \_ اسكتى!

إنها تحس بالبرد يسرى فى أوصالها ، رغم فصل الربيع ، وبأنها هى التى تتجرع كأس الموت . ثم تنقد مبدأ الهدم والتقتيل ، وتفضى للرئيس بشك يساورها :

\_ هل نحن على يقين من أن خلفاءنا سيقفون عند الحدود التمي

فرضناها على أنفسنا ؟ إننى عندما أسمع « ستيبان » أحيانا ، يتولانى الخوف . فلربما يأتى بعدنا من يتخذوننا أسوة لكى يقتلوا الناس ، ولكنهم لا يدفعون حياتهم ثمنا .

ــ ذلك هو الجبن ، يا « دورا » .

ويصطرع في قلبها الحب والموت . وتتمثل « يانك » في فناء السجن ينتظر لحظة إعدامه ، وتسأل « أنينكوف » :

- ــ كيف بشنقون شخصا ؟
  - ـــ في طرف حبل .
- ـــويثب الجلاد فيهوى بيديه على كتفي المشئوق . . وتنفصم الرقبة . . أليس هذا رهيبا ؟
  - ــ بلي . رهيب من ناحية ، ولكنه سعادة من ناحية آخرى .
    - \_ سعادة ؟
    - \_ سعادة الإحساس بيد إنسان قبل أن نموت .

وهاهما ذان الرفيقان يعودان بالأنباء . يدخلان واجمين ، فتترنح « دورا » ، ويقول « ستيبان » بصوت خفيض :

ــ « يانك » لم يخن .

وتلـح « دورا » فى استـقصاء تفاصيـل المشهـد ، كما رواه « أورلوف » :

لقد أبلغوه الأمر في الساعة العاشرة ، وشنقوه في الثانية صباحا ، و لم ينبس بكلمة طوال ساعات الانتظار الأربع . وأتوا به في الزي الأسود ، وكان الليل حالكا ، والجليد في فناء السجن قذرا . و لم يرتعد .. ويعقد التأثر لسان « ستيبان » ، ويبكى « أنينكوف » ، فتتولى « دورا » إتمام الوصف ، وكأنها كانت شاهد عيان! لقدرأت « يانك » يتقدم إلى المشنقة بخطوات ثابتة ، ورأته يموت سعيدا ، يتلقى السعادة مع الموت . . ثم تهيب برفاقها في شرود :

ـــ لا تبكوا! هذا هو يوم التبرير . إن « يانك » ليس مجرما منذ اليوم . لقد استعاد فرحة الطفولة . هل تتذكرون كيف كان يضحك ؟ إنه يضحك الآن ، وهو منكفىء على الأرض !

وتقترب من الرئيس ، ترجوه أن يأذن لها بإلقاء القنبلة التالية ، فيعترض قائلا :

... إنك لتعلمين أننا لا نريد أن نضع النساء في الصف الأول.

فتصرخ ثائرة :

ـــ وهل أنا الآن امرأة ؟

وينظرون إليها جميعا ، صامتين . ثم يتوسل « فوانوف » و « ستيبان » إلى الرئيس لكي يقبل طلبها ، فيقول « أنينكوف » :

\_ لقد كان هذا هو دورك يا « ستيبان » .

.... إني أنزل لها عنه . فهي الآن تشبهني .

ويوافق الرئيس . وتتخيل « دورا » أنها تلقى القنبلة ، ثم تخاطب حبيبها وهي تنتحب :

ــــ « يانك »! ذات ليلة باردة أيضا . . ونفس المشنقة ! لسوف يكون كل شيء أيسر .



## خفقة السراج قبل أن ينطئ .

لا يمارى أحد فى أن الكاتب الإيطالى الكبير ( لو يجى بيرانديللو )
 من أعظم كتاب التمثيليات فى عصرنا هذا ، لا فى إيطاليا وحدها ، بل فى
 العالم كله . .

ولعلك لمست هذا في مسرحية « الحياة نفاق » أو « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » ، التي قدمتها لك قبل الآن .

.. أما المسرحية التي أقدمها لك اليوم ، فتعتبر نوعا جديدا في أدب التمثيليات .. فهي من فصلين يكادان أن يكونا فصلا واحدا ، إذ لا فرق بينهما مستتر ، وإنما يفصل بينهما توزيع الأضواء على المسرح .. كما أنها تكاد تدور بين شخصيتين اثنتين ، وتكاد تكون صورتين مختلفتين لام أة ..

وربما كانت هذه المسرحية آخر أعمال الأديب الكبير ، إذ كتبها فى اليوم الأخير من عمره نسنة ١٩٣٦ سحين بلغ التاسعة والستين . وفيها مع هذا ــ تألق فى الفن ، ورسوخ فى التعبير ، يشبه خفقة السراج وقد أو شك أن ينضب !

توفع الستار عى حجرة بخالها المرء فى البداية حجرة نوم . ثم لا يلبت أن يتبين أنها حجرة « صالون » . . وقد استلقت السيدة السّابة على أريكة وثيرة فيه . أما سائر ما فى الحجرة ، فلا تتبينه بوضوح ، لأن الظلام يسود المكان ، فلا يكاد يبين فيه سوى نور خافت أخضر اللون ، ينبعث من الأرض أمام الأريكة مباشرة . وعلى هذا الضوء يستطيع مدير المسرح أن يطلعنا على ما سيدور فى رأس هذه السيدة النائمة . . وهى تحلم ! . . ذلك لأن المكان يبدو حجرة نوم ، طالما هى بائمة تحلم ، فإذا استيقظت ، وأضيئت الأنوار ، تجلت الحجرة على حقيقتها . . حجرة استقبال . . وصاله ن » !

وعلى هذا النور الأخضر ، نتبين إلى يمين الحجرة نافذة تطل على حديقة على شاطئ البحر . . وإلى يسار الحجرة مرآة تحتها «كونصول » . وفي مواجهة المسرح باب . .

وترفع الستار ، وليس يضىء المكان سوى ذلك الضوء ، الذى يكشف لناعن يد ترتفع من وراء الأريكة .. يد ضخمة ، يضاعف الضوء من حجم ظلالها .. ثم ترتسم - وسط الظلام المحدق - صورة إنسان يقف عند رأس الشابة النائمة ، وقد اضطرب شعره ، وأطلت من عينيه نظرة قاسية متوعدة .. فهو من صور الكابوس ، وإن كان يرتدى ثياب السهرة !

ثم يتجه الضوء شيئا فشيئا إلى وجه النائمة ، فإذا بها تفتح عيبها ، وقد تقلص وجهها . . وما أن تنظر إلى الرجل ، حتى يبدو عليها أنها تتذكر \_ شيئا فشيئا \_ أحداثا سابقة . . والرجل صامت لا يتكلم ولا يتحرك !

هي : أهذا أنت ؟.. كيف استطعت الدخول ؟

ويضع الرجل يده في صداره ، فيخرج مفتاحا صغيرا يريها إياه ، ثم يرده إلى جيب صداره دون أن يقول شيئا .

هى : أوجدته أنت ؟ . . هذا ما ظننته . لا بدأنه سقط من جيبى بعد أن أخذته منك ، جزاء ما أبديت من رعونة في المرة الأخيرة . . ثم سقط من جيبي حينها قفزت من مكاني

\* \* \*

ويحدجها الرجل بنظرات صارمة ، فلا تلبث أن توجس خيفة ، ويجلس ويحدجها : « لا شيء !» . ويجلس بحوارها وقد وضع إحدى ذراعيه خلفها على ظهر الأريكة ، ويده الأخرى على معصمها ..

هو : ( ناظرا إليها بهيام ) لا أستطيع أن أبتعد عنك طويلا ، فأنا لا أعيش إلا حينا تكونين بقربي هكذا .. أشم عبير شعرك ، ورائحة جلدك النضر ، والعطر الذي يتضوع من كل كيانك .. كلها لا استثناء!

وتنهض السيدة مغضبة ، وتتمشى أمامه ضيقة الصدر بهذا الحديث المعتاد . . ثم تجلس بعيدا عنه ، وتعتمد رأسها بين يديها كمن لا تدرى كيف تخرج من هذا المأزق ، فيبتسم الرجل ابتسامة حزينة .

هو : ( فى قنوط ) الحب لا يأتى غضبا .. لا الرجل يستطيع أن يرغم امرأة ، ولا المرأة تستطيع أن ترغم رجـــلا على الاستجابة لحب نضب معينه .. على أنه من الواجب أن

ھے

هو

تتوفر الشجاعة على المصارحة ــ على الأقل ــ لتقولى لى : ( لم أعد أحبك ) !

: كم من مرة منعت نفسي عن مصار سعتك ، شفقة عليك . . : إن المرأة التي تسكت بداعي الشفقة ، امرأة خادعة . فإن وراء هذه الشفقة المزعومة تكمن دائما مصلحة نفعية لها ، فإن لم تكن هناك منفعة ، فلا بد أن تكون الشفقة زائفة !.. شفقة مفضوحة لا جدوى منها ، وحيلية مكشوفة لا تنطلي على أحد !.. لماذا ؟.. لأن من يكون صادق الحب ، يشعر على الفور أن حبيبه لم يعد يكن له الحب حقا . . إنه يشعر بذلك حتما ، ولكنه قد يكتم فطنته ويداريها ؛ وفي هذه الحالة يكون خائنا ، وتكون العلاقة بينهما \_ بعد ذلك \_ شيئا حقيرا قدرا .. فالشفقة الصادقة يجب أن تكون سافرة ، لا تتستر وراء الحب . . يجب أن تكون كالصدقة تمنحها السيدة للمستسول بصراحة ، دون أن توهمه بأنها تحبه .. وإلا لكان الجزاء الحق لتلك الصداقة قبلة على الثغر، وليس دعاء بالخير! : ها ها !.. لكم يكون مضحكا منظر متسول يقبل بهيام فم المحسنة التي تعطيه صدقة!

هو: (مستطردا) وهو لا يفعلها إلا إذا تأوهت المحسنة بهيام، وهي تدس الصدقة في كفه !.. إن الإخلاص والصدق دين مقدس لا بد لنا من الوفاء به .. لأنفسنا

ولسوانا . فالخيانة شيء فظيع فظيع فظيع !
ي : وكيف أمكنك أن تشك في إخلاصي أيها العزيز ؟
و : لأن عندى كل مبرر لهذا الشك !. (وينهض فيفتح
ر النافذة ، ويطل منها وينساب صوت هدير البحر إلح
<b>الحجرة</b> ) أتذكرين ؟
ى : أجل. نزهتنا البحرية في الليل، في ذلك الصيف
و : والبحر أشبه ببساط من الفضة تحت ضوء القمر
ني : حقا ، كانت تلك رعونة منا لا نظير لها أيها العزيز !
و : وكنت أقول لك : ما أعجب اطمئناننا إلى هذا القارب
الصغير الذي تستطيع موجة واحدة أن تدفعه إل
القاع وإنى أتمنى لو ثار البحر لأرى ماذا تصنعين
مى : وقد أجبتك بأنك إنما تريد بذلك أن تجرب خوفك أنــــ
من تقلب حبي ، لأنك معي كراكب البحر ، لا يطمئر
إلى حال !
هو : وقلت لي أيضا ــ يا عزيزتي ــ إنك لا تعلمين هل يعيش
حبك لي إلى الغدأم لا ، فربما أحببتني الآن ، ثم انتهي حبلا
بعد لحظة وربما أجببتني بعد لحظة وكنت من قبا
لا تحبينني ! فانظرى الآن ــ أيتها العزيزة ــ في عينم
واصدقيني : ألم تحل اللحظة التي تشعرين فيها بأنل
لا تحبينني ؟
هي : كن عاقلا ! أنت نفسك قلت منذ قليل إنه لا إكراه في

الحب ..

: ویحی! ما أشقانی إذا كان حبك لی قدانتهی ، و حبی لك فی عنفوانه!.. ولكن اطمئنی ، فإن لهیب حبی محصور فی صدری ، یتحكم فیه عقلی .. أما أنت فحبك یولد فجاه ، ویموت فجاه .. تتحكم فیه المصادفات والنزوات ، والسوانح والشوارد ، بغیر حساب .. ولكن احذری أن یحرق الحب قلبك .. إن هذا قد یحدث فی احذری أن یحرق الحب قلبك .. إن هذا قد یحدث فی لحظة ، فإذا فؤادك رماد قبل أن تدركیه!.. إن الحب یكون أحیانا عاصفة تجتاح العقل و تنفلت منه لتدمر كل شیء ، إذ تنقض صواعقها علی رأسك و بیتك ، ولا تلبث أن تردیك ..

وعندئذ يسمع من النافذة هدير عاصفة بعيدة ، ويختفى ضوء الفمر ، ويومض البرق . فتغطى السيدة وجهها بيديها مذعورة ، ويفعل الرجل مثلها . . وتهدأ العاصفة فجأة ، وينساب ضوء القمر خلال النافذة ، فترفع السيدة يديها عن وجهها ، لتجد الرجل يحدق فيها بوعيد وغضب كما كان في أول المنظر .

هي : قل شيئا !.. قل لي : لماذا تنظر هكذا في وجهي طول الليل !.. تكلم !

ويختلج صوتها بالدموع ، ويظهر على وجهها الذعر والقلق . . أما هو فيبدو كمن يغالب انفعالا عاتيا .

هو : تعلمين أن حبك يملأ جوانحي ، وقد غيرني هواك ، فلو

نظرت في مرآة ما عرفت نفسى .. إن هذا الوجه الذي تنكرينه ليس وجهى ، وإنما هو وجه غريب غير الذي تعكسه أمامى المرآة .. إنه الوجه الذي أعطيتنيه أنت !.. هذا الوجه الذي أعطيتنيه أنت !.. هذا الوجه الذي أعطيتنيه أنت .. إنه أثرك في حياتى ! أثر الالتواء والجريمة ! إن المرآة هي الضمير ، وصورتى فيها هي صورتى أمام ضميرى .. صورة منكرة ! ولهذا لم أعد أجسر على النظر في مرآة !.. وإنك تعلمين جيدا أن هذه السحنة البشعة قد لازمتنى منذ فعلت \_ في النادى \_ ذلك الذي تعلمين جيدا .. ولحسن حظى أنهم منذ غششت أصحابي في اللعب ! .. ولحسن حظى أنهم لم يفطنوا إلى أنني غششت وسرقت كي أتمكن من شراء ذلك العقد اللؤلؤي الفاخر !

هى : أواه ، كلا ! كلا ! لم أعد أريده .. إننى لم أقل سوى أنه يسرنى أن يكون لى هذا العقد .. كلمات قلتها بلا تفكير ! هو : بل قلتها لتذليني .. لتشعريني بأنك تستحقين عاشقا غنيا يستطيع أن يوفر لك ما تحلمين به من ملذات ورغبات باهظة !

هي : يا إللهي !.. إنما خطر لك هذا ، لأنك تعرف أية حياة كنت أحياها دائما قبل أن أعرفك ، وكيف كنت أعيش في بذخ على الدوام!

هو : ولكنك كنت تعرفين تماما من أنا ، وما هي حدود

قدرتى ، عندما تقبلت حبى ، فما كنت غنيا فى يوم من الأيام ، ومع ذلك فقد أرهقت نفسى لكى أوفر لك بكل الوسائل مستوى حياة كذلك الذى كنت تعيشين فيه .. ولكن بدون مبالغات طبعا !

هى : وأنا أيضا ضحيت ــ باعترافك ــ كى أعيش معك ..

هو : نعم ، ضحيت بالنزوات الباهظة التكاليف فقط ..

هي : وهل هذا يبدو شيئا قليلا في نظرك ؟ . . هل يبدو لك أمرا

طبيعيا ؟

هو : طبعا ، ما دمت تحبیننی !

ھي

عدا ما كان يغيظنى منك .. أن ترى تضحياتى أمرا مفروغا منه !.. وهذا هو ما جعلنى أقف \_ عند مرورنا أمام واجهة متجر الجواهر \_ وأتعمد أن أغيظك فقط ، بإبداء الرغبة فى امتلاك هذا العقد ، كى أعرفك أى شيء حرمت نفسى منه بمعاشرتك !.. أجل ، تعمدت هذه القسوة ، والذنب ذنبك ! كان هدفى إيلامك فقط .. أما شراء العقد ، فقد كنت أعلم أنك لا تقدر عليه ، إلا إذا سرقت ، أو سرقت ثمنه من الغير !

هو : إذن فأنت لا تريدينه حقا ؟!

فتنقلب سحنته إلى الغضب الشديد ، وتحمر عيناه ، ويهجم عليها ،

فتظل تتراجع لتتحاشى إطباق يديه عليها .

هو : (في هياج). يا فاجرة !.. لا تريدينه منى لأنك حصلت عليه من سواى . لقد خنتنى فعلا ، أيتها الفاجرة .. لقد عدت إلى عشيقك السابق ، الذى رجع بأموال طائلة من (جاوة) .. لقد رأيته بنفسى فى الشارع .. إنه لم يعاشرك بعد علانية .. لم يحضر بعد ليعيش معك ، ولكنى رأيته .. بعد علانية .. لم يحضر بعد ليعيش معك ، ولكنى رأيته .. هى : آه ، لا تقتلنى !.. دعنى !.. ليس هذا صحيحا !..

وبعد مقاومة ، يتمكن من عنقها ، ويلقيها على الأريكة ، ويجثم على صدرها !

هو : ليس صحيحا ؟!.. لكنى رأيته يا فاجرة ! أنت تنتظرين تلك اللآلئ بعد أن طلبتها منه.. وفي تلك الأثناء ، كنت ألوث يدى بسرقة أصحابي في النادى ، لأحصل على ثمن العقد .. لأرضى شهوتك ، وأشبع قسوتك !

\* \* \*

وتستسلم أخيرا لقبضته ، وتسكن حركتها كالميتة .. فقد خيل إليها ــ في المنام ــ أنها ماتت مخنوقة بيد عشيقها الغيور .. وبعد لحظة قصيرة جدا ، تسمع طرقات عنيفة على الباب .. طرقات رهبية كتلك التي تسمع في الأحلام . ويسود المسرح ظلام شامل ، يختفى أثناءه الرجل .. وفي الحال تبدأ الأنوار الطبيعية ــ أنوار الشمس ــ في الدخول من النافذة . وتبدو الحجرة على حقيقتها .. حجرة جلوس « صالون » ..

والسيدة الشابة وسنانة على الأريكة . ويتوالى الطرق الشديد على الباب فتتحرك السيدة في مرقدها ، وعندئذ يخفت الطرق شيئا فشيئا ، حتى يصبح طرقا عاديا ، كالذى نسمعه في اليقظة لا في الحلم . . طرقا خفيفا . . مجرد نقرات بالأصابع على الباب . وتفتح السيدة عينيها ، وتنظر حولها برهة ـ وهي لا تزال في غشية النعاس ـ ثم لا تلبث أن تصحو تمانا ، فتفرك عينيها ، وتمسح وجهها ، وكأنها تزيج آخر آثار الكابوس . ثم تنهض وتقف أمام المرآة فتسوى شعرها قليلا . وأخيرا ، تجيب الطارق قائلة: «ادخلي !» فتقبل الوصيفة حاملة صفحة صغيرة من الفضة ، عليها علية من علب المجوهرات ، مربعة الشكل ، ومعها بطاقة زيارة . فتشير السيدة إلى الوصيفة أن تضعها على « الكونصول » ، فتفعل الوصيفة ، ثم تنصرف مغلقة الباب خلفها .



وتجلس السيدة تستعيد حلمها بحذافيره ، ثم تنهض إلى العلبسة فتفتحها ، وتخرج العقد الذي كانت تحلم به ، فتحيط به عنقها ، وتقف تتأمل صورتها في المرآة ، وهي تلتفت إلى الباب لتتأكد من أنه مغلق ..

وكأنها تخشى أن يظهر فى الواقع بطل الحلم!.. وتتحسس العقد حول عنقها ، بأصابع مضطربة . ثم تتفرس فى بطاقة الزيارة .. وتعبد النظر إلى العقد ، ثم تغمض عينيها فى نشوة وتتهد . ولا تلبث أن تخلع العقد فجأة ، فترده إلى الصندوق وتضع الصندوق والبطاقة داخل درج الكونصول ، وهى تنصت إلى خطوات تقترب من الباب . وعندما تسمع طرقا عليه تقول : « من ؟ ادخلى!» .. فتفد الخادمة حاملة بطاقة زيارة ، تلقى عليها السيدة نظرة ، ثم تقول : « أدخليه!» .

ويدخل الرجل .. نفس بطل الحلم الذي كان مرتديا ثياب السهرة ، ولكنه الآن في ملابس عادية ، ووجهه هاش باسم فتستقبله بكــل ترحاب . ويجلسان على الأريكة .

هو : أرى من عينيك أنك نمت ...

هى : لم أكن أريد أن أنام ، ولكنى استغرقت فى النوم فجأة ، بعد الغداء . (تستدرك) لا ، لا ، أبدا . . لم أنم إلا لحظة

وتمر بيدها على عنقها ، وهي تتذكر كيف كانت تختنق بيديه في الحلم . . ولكن وجهها لا يعكس أى أثر للكذب ، فهي تكذب بلا مجهود . . بالسليقة ! . . وتحضر الخادم أدوات الشاى ، ثم تخرج ، فتنظر السيدة في عيني صاحبها الذي يبدو شارد البال .

هى : ماذا بك ؟ أهناك ما يكدرك ؟

هو : آه ، كنت أريد أن أقدم لك مفاجأة سارة .

هي : أنت تقدم لي مفاجأة ؟ ولماذا تقولها بمثل هذا التحسر ؟

هو: لأنني لم أتمكن من تقديم هذه المفاجأة ، لأدخل السرور

## عليك يا عزيزتي!

هی : عرفت ماذا کنت ترید أن تفاجاً نی به !.. وسأقوله لك لتعرف أنه لم تعد بیننا مفاجآت أیها الحبیب .. ( وتطوقه بذراعیها ، وتلتصق به ، وتجعل خدها علی خده وهی تكلمه بكل حنان ) أحقا إذن كنت ترید أن تتحفنی بذلك العقد النفیس یا حیاتی ؟.. ولكنك وجدته قد بیع فعلا ، ألیس كذلك ؟..

## هو ( مجفلاً في دهشة ) : عجباً ، وكيف عرفت ؟

هى : ها ها !.. مررت مساء أمبس أمام حانوت تاجــر المجوهرات ، فلم أجد العقد في نافذة المتجر .

هو : عجبا ، ولكنه كان هناك في الساعة الرابعة بعد الظهر ، فقد رأيته بعيني وأنا في طريقي إلى النادي .

هي : لقد مررت أنا بعد ذلك .. في السابعة .

هو : ولكن لماذا قالوا إلى الآن أنه بيع في هذا الصباح ، وليس مساء أمس ؟

وتتصنع عدم الاكتراث ، ولا تضطرب وهى تتبين ضعف أكذوبتها .

هي : قالوا أى كلام ، ما دامت الصفقة قد تمت ، ولكن ألم يقولوا لك من الذي اشترى هذا العقد ؟

هو : بلى . قالوا لى ولكنى نسيت الاسم .. ( يضمها إليه ويعبث بشعرها ) لا بد أنك كنت تفكرين في هذا العقد



كثيرا ، ما دمت قد ذهبت بالأمس أيضا لتريه . ولا بد أنك كنت تنتظرين منى أن أقدمه لك !

هى : أوه ، كلا . . أبدا! . . ولكن لا بد أنك ربحت في اللعب أمس مبلغا كبيرا حتى أنك ذهبت في الصباح لتشترى هذا العقد لي . .

هو : ربحت مبلغا طائلا . أتدرين لماذا ؟. . لأننى كنت أتحرق رغبة في شراء هذا العقد لك يا حياتي !. . والآن عليك أن تختارى شيئا آخر جميلا . . جميلا جدا ، وثمينا ، لأقدمه إليك !

هى : أوه كلا .. مستحيل!

هو : بل يجب ، كى تزيلى عنى كدر فشلى فى الحصول على العقد لك ..

هي : ولكني أؤكد لك أنني لم أكن راغبة حقافي الحصول عليه

.. كانت نزوة عارضة .. ويكفيني سرورا أن كلمتي جعلتك تكسب ، كما أن عدم وجود العقد يحفظ عليك المبلغ . فلنترك هذا الموضوع .. أرجوك ! والآن هيا بنا نتناول الشاى في قدحه ) .

هو (كمن يحاول أن يتلمس موضوعا للكلام): هل علمت ؟.. قيل لى إنه عاد من (جاوة)..

هى : من؟.. (تستدرك وقد عرفت من كان يعنى ) آه ، لقد سمعت !

هو : من الذى أنبأك بهذا ؟.. ومتى عرفت ؟
هى ( متظاهرة بعدم الاكتراث ) : منذ ليلتين .. لا أذكر تماما من الذى
قال لى ..

هو : يبدو أنه عاد من هناك بثروة كبيرة ..

هى ( فى بساطة ، متعمدة أن تتجاهل الموضوع ) : هل تريد لبنا على الشاى ، أو ليمونا ؟

هو: بل لبنا .. شكرا لك!

وتنزل الستار ، وقد خسر ضمير المرأة المعركة .. لقد ناضل ضميرها نفاقها وخداعها في الحلم ، ولكنها لم تكد تعود للواقع ، حتى استسلمت لصوت المصلحة ، ولبست قناع الرياء ، لتعيش به في المجتمع ، كعهدها من قبل .



## مسرحية مثيرة ومؤلف شاب

• إذا كان أبلغ الكلام هو ما يناسب مقتضى الحال ، فإن أبلغ مسرحية تقدمها لنا باريس اليوم هى مسرحية و تبيرى مونييه » الأخيرة : (بيت الليل) . فموضوع هذه القصة هو الموضوع الذى يسيطر على العالم بأسره .. هذا القلق الذى يملأ صفحات الجرائد صباحا ومساء ، ويصطدم به فكرك كلما نظرت فى حياتك و فى مشاكلك المادية والمعنوية : فاقتصادك وما تبلغه من الرخاءأو القلة ، وحريتك وما تجد من ضيق أو تفريج ، وراحتك وما تحس به من أمن أو اضطراب ، وعواطفك التى تطغى على عواطفك ، ووضعك فى منتصف القرن العشرين بين الحق والواجب ، وما أصبحت وضعك فى منتصف القرن العشرين بين الحق والواجب ، وما أصبحت عليه علاقتك بالمجتمع وعلاقتك بالفرد ، كل ذلك مرتبط بآثار الماضى الذى لم يكد ينقضى ، وعلائم المستقبل الذى يوشك أن يحل . وهذا ما تتناوله قصة و بيت الليل » . هى إذن قصة الفرد والجماعة ، وملحمة العقل والعاطفة ، كا يحددها موقف الإنسانية فى العصر الحاضر ..

هى قصة المرأة التى تخون زوجها حرصا على حياته ، والمواطن الصالح الذى يخاصم المواطن الصالح .. هى قصة المادة التى تنكر العاطفة ، والحياة التى تأبى أن تجمد فى قوالب المادة ..

وليست طرافة الموضوع وحدها أو مناسبته لمقتضى الحال هى التى تغير إعجابنا بهذه المسرحية . فهى بلا شك مسرحية قوية جريئة تعبر عن أزمة الضمير الإنساني الراهنة . ولكنها فوق ذلك \_ من ناحية الصياغة الفنية \_ أثر متقن ممتاز ، قد ارتفع بها مؤلفها إلى درجات النقاء

والصفاء والتركيز التي تميز في المسرح الفرنسي الكلاسيكي ، وبخاصة مسرح « راسين » .

فالمؤلف \_ وهو فى الخامسة والأربعين من عمره \_ أديب واسع الثقافة ، عميق الفكر ، مرهف الذوق .. تخرج عام ١٩٣١ فى مدرسة المعلمين العليا ، تلك التى أنجبت لفرنسا معظم أدبائها فى الأجيال الأخيرة . وسرعان ما أدار ظهره للتعليم وللجامعة ، وفرغ للتأليف والنقد الأدبى والمسرحى ، فقدم كتابا رائعا عن راسين ، واقتبس للتمثيل الحديث بضع مسرحيات من الأدب القديم ، وما زال يحرر الصفحة الأدبية بانتظام فى جريدة حية فتية هى صحيفة COMBAT وقد أخذ نجمة الآن يتألق فى سماء المسرح الفرنسى بجدارة .

## بین تبیری مونییه وراسین

● فهم تيبرى مونييه عبقرية راسين ، واستكنه كيف استطاع الكاتب الكبير أن يحقق المثل الأعلى للمأساة التى لم يكن بد من أن تجرى حوادثها فى يوم واحد من أربع وعشرين ساعة لا أكثر ، وقى حدود منظر واحد لا يتغير ، وأن تعرض موضوعا واحدا محكم العقدة واضح المدار . وقد أشاد بر شاقة راسين فى حمل تلك القيود البلاغية العتيقة و تضييقها على نفسه ، حتى نقى فن الإنشاء المسرحى من شوائب الملابسات الكثيرة الغريبة ، وسخف المفاجآت غير المعقولة ، وفوضى الحركات التمثيلية التى تطرأ من الخارج على الأشخاص والمواقف . ولمس الناقد الشاب أن راسين حقق هذا المثل الأعلى للمأساة ، لأنه استجاب قبل كل شيء لسجيته الصادقة المرهفة التى استحوذ عليها نقاء الطبيعة وبساطة الحقيقة ، فكان

أن اتخذ من العواطف وتطورها فى القلب مواضيع مسرحياته ، وصور لنا النفس الإنسانية إزاء مصيرها عارية ، مجردة من ثياب الرياء والصنعة والتكلف ..

وكان القدماء يجدون موضوع مآسيهم بوجه عام في اصطدام إرادة الإنسان بإرادة القدر . وقد نقل « تيبرى مونييه » هذا الصراع من السماء إلى الأرض . أو مما وراء الطبيعة إلى الواقع ، ومن العصور الغابرة إلى العصر الحديث ، فعرض علينا في هذه الرواية نزاع الفرد والجماعة ، وصراع النفس التي تنشد الحرية والسعادة ضد المذاهب التي تريد إلغاء هذه الحرية وهذه السعادة في سبيل حرية الإنسانية جمعاء وسعادة الإنسانية جمعاء .. ولكنه صرح بأنه لا يكتب في السياسة ولا يحب أن يخوض غمارها ، وإنما اختار بعض أبطاله من الشيوعيين وبعضهم الآخر من غير الشيوعيين لأن في تعارض هؤلاء وأولئك مادة رائعة للكاتب المسرحي . فهناك أزمة وانقسام والتحمام ، والمأساة المسرحية لا تعرض إلا أزمة وانقساما والتحاما . وإنه ليركز هذه الأزمة في نفر قليل ، وفي زمن قصير لا يتجاوز الساعات الثلاث التي يستغرقها التمثيل. وإنه ليحاول أن ينأى بها عن الجدل العقلى ــ فالمناقشات الفلسفية والمنطقية تثير ملل النظارة وتقتل الحياة الجارية على خشبة المسرح ــوهو يفلح في أن يجعل العاطفة هي المسيطرة على أشخاص قصته من رجال ونساء . وكما كان راسين يتخذ موضوع مأساته من إحدى العواطف الكبيرة \_ كالحب أو الوفاء مثلا \_ تلتهم هذا البطل أو تلك البطلة ، فإن تييري مونييه يتخد موضوع ﴿ بيت الليل ﴾ من الشفقة ــ ويالها من عاطفة عميقة مستحكمة عاتية!

ليس فى هذه القصة الممتازة إذن ــ وإن أثارت سخط الشيوعيين ــ دعاية لأى مذهب سياسى ، فهى لا ترمى إلى إثبات فكرة أو رأى ، ولا تميل مع أهل اليسار ، وإنما تحاول أن تنفذ إلى أعماق النفس الإنسانية فى مأساتها الحالية ، كما صنع القدماء ، وبالأخص « راسين » .

1

• نحن فى داخل بيت واقع بين حدود دولتين من دول أوربا الوسطى ، فمن الشرق حدود جمهورية شعبية خاضعة لأوامر الحزب الأعلى ونواهية ، ومن الغرب حدود جمهورية حرة . ويبدو على أثاث القاعة وجدرانها آثار التلف الذى ألحقته الحرب بالمكان منذ وقت غير بعيد : كراسى بعضها سليم وبعضها مبقور ، ومائدة هى لوح من خشب فوق حاملين ، وصفائح « بنزين » فى ركن من الأركان ، وساعة عتيقة ثمينة قائمة بجوار أحد الجدران يشير عقرباها إلى الساعة التاسعة عند ارتفاع الستارة ، وتدور دورانها الطبيعى ، أى أنها ساعة مضبوطة تقرأ عليها الوقت الحقيقى . فإن أحداث الرواية تجرى أثناء الساعات الثلاث التى تستغرقها مشاهدتنا للتمثيل ، وتنقضى عندما ينتصف الليل .

ونرى فى بيت الليل هذا امرأة ورجلا وفتاة . وقد جلس الرجل والمرأة \_\_\_ وهما من نزلاء البيت العابرين \_\_ يلعبان الشطرنج ، ووقفت الفتاة \_\_\_ وهي ابنة البيت \_\_ لا تعمل شيئا بل تنتظر وتصيخ السمع ..

أما المرأة فقد جاوزت سن الشباب ، هلوع ، ثرثارة ، نعلم أنها « كونتة » من أشراف الدولة الشرقية ، قد أفلحت أخيرا في الفرار - وعبور الحدود للالتجاء إلى الغرب ، بعد أن نكل الفلاحون بزوجها « الكونت » الذى كان سيدهم الجبار ، وثأروا منه بأن خلعوا عليه جلد خنزير برى وأطلقوا عليه كلابا ضارية فمزقته إربا إربا ! وأما هذا الرجل الذى تلاعبه \_ ويدعى أدلر \_ فيصغرها سنا ولكنه يكبرها رصانة وجدا ، قليل الكلام ، لا يكشف اللثام عن شخصيته ، ولا يكاد يرحب بتوددها إليه وإقبالها عليه ، إقبال المرأة التى انصرف عنها الجميع ، على رجل قد يشفى نفسها مما تجد !

لكن الرجل قلق لتغيب رب البيت « كلوسوفسكى » الذى خرج تحت جنح الظلام والضباب للقاء بعض اللاجئين من الشرق وإعانتهم على عبور الحدود ، ونحن نشاطره هذا القلق إذ نسمع طلقات نارية ونباح كلاب خارج الدار ، وإذ نسمع أقوال الفتاة « ليديا » - وهى التى اعتادت كل ليلة قدوم نزلاء يفلتون فى عناء من رجال الحدود الشرقية تشرح لأدلر ماذا يعنى إطلاق الرصاص وماذا يعنى نباح الكلاب! وها هى ذى تهرع إلى المصباح فتطفئه ، فقد استنتجمت أن اللاجئين قد اقتربوا من البيت ، وخير لهم ألا يسطع عليهم نور الدار فيظهرهم لرجال الحدود الذين يرمونهم بالرصاص من بعيد ، ويعلو فى الخارج صوت الذين يرمونهم بالرصاص من بعيد ، ويعلو فى الخارج صوت وفى الظلام يسرع اللاجئون ومضيفهم بالدخول . ثم يضاء النور فنرى وفى الظلام يسرع اللاجئون ومضيفهم بالدخول . ثم يضاء النور فنرى علائم الاضطراب والفزع ، لاهثين مروعين ، يستردون علائم الاضطراب والفزع ، لاهثين مروعين ، يستردون علائم الاضطراب والفزع ، يلهثون مرتاعين . .

ويسألهم كلوسوفسكي هل سلموا جميعا من طلقات الرصاص ؟

فيجيبه أحدهم ــ « هاجن » ــ بأنهم قد نجوا جميعا ، ولكن رفيقه ضل الطريق. بيد أن كلوسوفسكي يصب خمرا ويشرب غير عابيء بشيء. وتخرج ليديا للبحث عن الفتي الضال. وما أرخص الحياة على الحدود! لن يكون ذلك الفتي المفقود آخر لاجيء يهلك ولا أول لاجيء ينجو . ففي كل ليلة ، ولا سيما في الليالي الحالكة ، يزحف على بطونهم عبر الأسلاك الشائكة مئات من أهل تلك المناطق الشاسعة الممتدة من شواطئ البلطيق إلى جبال بوهيميا ، لاجئون من جميع الطبقات ، ضابط من الجيش القديم ، وأشراف وأغنياء ، وسجناء أفلحوا في الفرار من معتقلاتهم ، وعمال ، وفلاحون طردوا من أراضيهم ، أولئك الذين يهربون من الجوع وأولئك الذين يهربون من الخوف . . وكثيرا ما تكون بينهم عائلات مؤلفة من خمسة أفراد أو ستة ، قد لا يصل منهم إلى هذا البيت إلا اثنان أو ثلاثة! ألم تبلغ الدار ذات ليلة امرأة تحمل على كتفها طفلها وقد كممت فاه بملفعتها لتكتم صياحا خليقا بأن يفشي أمرها ، وحين كشفت وجهه وجدت أنها أسرفت في تكميمه وأنه قد فارق الحياة منذ ساعات طوال !؟

وتدخل ليديا مقتادة «كراوس» ممسكة بيده. وإنها لتنظر إليه برهة قبل أن تترك يده، ثم تنظر إليه نظرة أطول، فهى لم تر وجهه في الظلام المطبق خارج الدار. وتدعوه إلى الجلوس بجوار المدفأة، ثم تسأله هل يرغب في تناول شراب ما، فيحسده رفيقه «هاجن» على هذه العناية التي لم يلقها سواه. وتحسد «الكونتة» تلك الفتاة الرقيقة على صيدها الثمين، سائلة إياها في خبث هل تصيب فتي وسيما كهذا كل ليلة،

فتستدير « ليديا » وتخرج كالغزال النافر .

ويقص كلوسوفسكى قصتها ، فهى ليست ابنته ، وإنما هى صبية . جرفها إلى ذلك المكان سيل من اللاجئين فى نهاية الحرب عام ١٩٤٥ . وكانت تلك الدار قد فقدت أهلها ، وكان هو قد فقد داره ، فالتقط الصبية المتخلفة من جمهور الهاربين ، كا التقط صفائح البنزين والساعة ، وأثث البيت بها جميعا . وكانت ليديا إذ ذاك فى نحو العاشرة من عمرها . لم تقل له قط ماذا رأت قبل أن تلقيها الأحداث إلى الحدود . لعلها رأت قريتها تحترق ، وأهلها يتلظون فى نار ذات لهيب .. ولا بدأنها رأت أشلاء متناثرة فى كل مكان ، و جنودا بواسل ينتهكون أمها ، وينتهكون عذارى القرية ولا حول لهن ولا قوة !

على أن مصير هذه الشرذمة الحالية من اللاجئين مصير غامض مجهول . فلئن كانوا قد اجتازوا الحدود الشرقية فإنهم لم ينتهوا بعد إلى أرض الجمهورية الغربية . والجمهورية الغربية قد أغلقت حدودها فى وجه الجميع منذ ثمان وأربعين ساعة ، ظنا منها أن جارتها الشرقية قد دست إليها عددا من الجواسيس ، أو عجزا منها عن إيواء هذه الحشود الجرارة من الناس . على هذه الشرذمة إذن أن تقضى الليلة فى هذا البيت ، وإن غدا لناظره قريب ..

ويصعد بهم كلوسوفسكى ليرشدهم إلى غرفهم ، ولكن « فرانز ورنر » و « كاترين » ـ ولا نعلم من أمر هذين اللاجئين شيئا بعد ـ يبقيان ليتحدثا فيما بينهما حديثا خاصا يكتانه عن الآخرين . لم تكن كاترين تعلم إلى أين سيمضى بها فرانز ، فقد سألها منذ بضعة أيام أن تأتى

معه دون أن يستطيع مفاتحتها بسبب رحيله ولا بوجهته . ولقد وثقت به ثقة عمياء لأنها تحبه ، وإن كانت تعاتبه في رفق على ما ساوره من قلق ومن شك في إخلاصها ، إذ خطر له أنها قد تكون من جواسيس الحزب عليه ، غير أنه يؤكد لها حبه بما فعل وما يفعل . فهو يريد أن ينتشلها من عالم الغدر والنميمة والريبة ، من عالم يحذر فيه الزوج زوجته والأخ أخاه ، من عالم يتهم فيه الولد أباه بالخيانة على رؤوس الأشهاد ويدعو المحكمة إلى إعدامه ا. . من عالم يشترى فيه المرء حياته ـ بل أياما معدودة من حياته \_ نظير هوانه و تحقير نفسه . ها هما يديران ظهريهما لذلك العيش الرهيب و يقبلان على الطمأنينة والقرار والسعادة . .

ولكن كاترين تشعر بأنها اقترفت ذنبا ، وبأنها تختلس السعادة اختلاسا . فإن للسعادة ثمنا لم تدفعه هي . ذلك أنها انتزعت فرانز من أحضان زوجته « ليز » ، لكنها تخشى أن يظل محتفظا بشيء من عاطفته الأولى . فإن المرء لا يدير ظهره لماضيه كما يديره لحدود بلد من البلاد ! وإن ذكرى تلك الزوجة لحليقة بأن تلاحقهما وتفسد عليهما أصفى الأيام المقبلة . وهنا يعترف فرانز بأنه قد أمسى خالص النية مرتاح الضمير ، فقد عرض على امرأته أن ترحل معه وإن كان ذلك تهورا الضمير ، فقد عرض على امرأته أن ترحل معه وإن كان ذلك تهورا منه واشجة من الألفة والتضامن والبؤس المشترك تجمعهما دائما كما تجمع عميقة من الألفة والتضامن والبؤس المشترك تجمعهما دائما كما تجمع السجينين المكبلين سلسلة واحدة يجرانها معا في كل خطوة نحو الموت ؟ بيد أن « ليز » امرأة ضئيلة الفكر ، ضيقة الأفق ، لا تقدر كبار الأمور ، ومن طبيعتها أن تزحف لا أن تطير . بذلت كل جهدها وعنادها لتعيد

الوفاق بينه وبين رجال الحزب ، لا عن اقتناع منها بأن رجال الحزب على حق ، بل تلافيا للأخطار التي يتعرض لها زوجها الوزير ، وتجنبا للعقبات التي لا بد أن تقوم في سبيله إذا هو جهر برأيه وأظهر استقلاله . ولو أنه أطاعها لظل قويا في مركزه السياسي ، جبان النفس مستعبدا ذليلا في واقع الأمر . وكان لإلحاحها عليه وحرصها على السلامة وتشبئها بالباطل أثر الداء المعدى ، فقد كان يدوى في خاطره أحيانا صدى ما تلقنه ، و لم يكن له بد من الفرار لتوقى تلك العدوى . فتسأله كاترين :

ــ أفلم تحبها قط ؟

\_\_ أين يبدأ الحب وأين ينتهى ؟ إن الأمور ليست بهذه البساطة ، حتى بالنسبة لجسمين يتحدان . ومن ذا الذى يستطيع أن يشرح جميع ما يثور في ضمة جسمين من الضيق إزاء الوحدة وإزاء الموت . . من الحزل ، ومن البغض . . من الحنان و من الإهانة . . من الرحمة ومن الوجد ؟

\_ إذن فقد كانت جزءاً منك . ألا ترى أننى فى حاجة إلى أن أحس بأنها عدو ، وأن أتوقع من ناحيتها الخطر علينا ، ولا سيما الآن ؟

فيأخذها بين ذراعيه ، ويحاولان أن ينسيا الزوجة المهجورة وأن ينكرا غرامهما . ويغمرهما البشر إذ يفكران في أنهما مقبلان في غدهما على أوربا ، فإن الدنيا الآن لهما ، من ألمانيا التي نضرت بمدنها الجديدة كالغابة استعادت خضرتها بعد حريق ، إلى باريس التي تمد قصورها الزاخرة تحت سماء الإخاء الإنساني ، إلى إنجلترا التي تبرز صخور شطئانها من الضباب كذهب تاج يطفو على صفحة البحر ، إلى إيطاليا الغنية \_ رغم فقرها \_ بنور الشمس وبهرج المرمر وأغاني الفرح . .

ويفيقان من حلمهما اللذيذ على صوت امرأة تستغيث في خارج الدار ، صوت سمعته ( الكونتة » أولا ، ثم سمعه رب البيت فهبط يستطلع الأمر تصحبه ليديا . ويكره العاشقان أن يزدحم القوم من حولهما فيقطعوا عليهما نجواهما . ويصعدان إذن إلى غرفتهما . ولا يلبث كلوسوفسكي وليديا حتى يعودا من الخارج ومعهما امرأة في حالة إعياء شديد ، لا تكاد تملك القدرة على الكلام . فيقدمان لها قدحا من الخمر تحسوه جرعة جرعة ويعود إليها صوابها . عجيب أمر ها.ه المرأة ! فإنها عجلة تريد أن تواصل طريقها في الحال لتبلغ بيت كلوسوفسكي ! ويندهش الجميع إذ يرون من حديثها أنها قد عبرت الحدود الشرقية بسهولة إعجازية ، وأنها لم تدرك بعد أنها انتهت فعلا إلى بيت كلوسوفسكي، وأن كلوسوفسكي هو هذا بعينه الذي يخاطبها . إذ ذاك تسأله هل أتى لديه الليلة رجل ؟ فيجيبها ساخرا : بل رجال كثيرون ! ولكنها تبحث عن رجل واحد ، رجل أسمر ، طويل القامة ، تصحبه فتاة . إنها تريد أن تراه ، وأن تراه بمفرده . فيصعد رب الدار ليدعوه . وتنصرف الكونتة مع أدلر ليستأنفا مباراة الشطرنج. ويقترب الرفيقان « هاجن » و « كراوس » ويحتلان صدر المسرح .

ويتضح لنا من حوار الرفيقين أنهما من أعضاء الحزب في الدولة الشرقية ، وأنهما أقبلا للقيام بمهمة خاصة \_ وإن كانا لا يعرفان ماذا سيؤ ديان على وجه التحديد ! \_ على أن لكل منهما شخصيته وصفاته . فهاجن رجل يشعر بالحياة من حوله ، ويتكلم ، ويبتسم ، ويعلق على كل شيء تعليقات إنسانية صريحة . وأما كراوس ففتى ساكن صارم ،

لا يتكلم كثيرا، لأنه لا يفكر كثيرا، ولا يرى في الحياة إلا طريقا واحدا مرسوما هو طريت اخزب الأعلى. يستبشر هاجن في شيء من السخرية بأن رحلتهما الشاقد لا تخلو من ترفيه، فها هي ذي امرأة ثالثة تفد إلى البيت. وهو وإن كان يعرف شخصيتها إلا أنه لا ينظر فيها لغير «المرأة». على حين لا يرى فيها كراوس وهو يجهل شخصيتها إلا واحدة من الطبقة «البورجوازية» تبدو عليها التفاهة، ولا يأسف على أن تلو فهي وأمثالها بجمهورية الغرب، إذ ينبغي أن يتخلص الشرق من تلك الطبقة على كل حال. ومعرفة هاجن بها معرفة جيدة، فقد سبق له أن راقصها مرتين أو ثلاثا بل وطارحها الغرام، تنفيذا لأوامر صدرت إليه. فيسأله كراوس:

- \_ من تكون ؟
- \_ لا غناء فيها . إني متأكد من أنك تفضل ليديا .
  - \_ ليديا ؟
- ... ليديا التي هدتك سواء السبيل في الظلام والضباب والخطر .
- ... ألا تظن أننا نستطيع أن نتحدث في جد الأمور ؟ أترى أن نظل محاصرين في هذا المكان ؟
- \_وما العمل؟ إذا نحن حاولنا أن نتسلل خلال الحدود الغربية تعرضنا لخطر الاعتقال وانكشفت حقيقتنا . أليس من الخير أن ننتظر وأن نختفى عن العيون ما استطعنا ؟ هل لديك تعليمات عن المهمة ؟
  - \_ كلا . اسم وعنوان فقط . وهناك سيقولون لي ماذا أفعل .
    - ... وأنا مثلك ليست لدى معلومات أكثر .

ـــ هذا أفضل . فنحن متى صرنا بين أهل الغرب أصبحنا على أرض العدو ، وخيرا فعل رؤساؤنا إذ حمونا من أنفسنا بكتمان سر المهمة عنا ! ــ نعم ، لا ثقة الآن في أهل الثقة .

- وإنهم على حق ، فالقاعدة هي ألا تثق في شخص قط . إنك تعتقد أنك موضع للثقة ، ولكن قد يحدث أن نتورط كلانا في الخطأ !

\_ أنا أحب على الأقل أن يستخدموني حسب اختصاصي .

- حسب اختصاصك أم حسب ذوقك ؟ إن الجمهورية الشعبية لا تسألنا أن نصنع ما نحب ، بل أن نصنع ما يجب !

ــ ألا تعتقد أن المرء يجيد ما يصنع إذا هو صنع ما يحب ؟

ــ ينبغي أن يصنع المرء أيضا ما لا يحب، وأن يجيده نفس الإجادة !

ــ أهذه هي أول مهمة تنهض بها في الغرب ؟

فلا يجيب كراوس ، بل يتجه إلى النافذة ، ويحاول أن يغير مجرى الحديث . إلا أن هاجن يذكر ما اجتازا من هول عند عبورهما الحدود الشرقية ، ويبدى دهشته من أن الحزب لم ينبىء رجال الحدود لكى يفسحوا لهما الطريق ، بدلا من إطلاق الكلاب عليهما وإطلاق الرصاص . . ولكن كراوس يرى فى ذلك حكمة التمويه على أصحاب الحدود الغربية . ثم يدعو هاجن صاحبه إلى الشراب فيرفض :

- إنى لا أشرب قط ، ما لم أتلق أمرا بالشرب .
  - ــ ولا في مناسبة غير اعتيادية ؟
  - ــ ليس في حياتي مناسبات غير اعتيادية .

- \_ سیأتی یوم مماتك!
- ـــ يوم مماتى يوم عادى .
- \_ ليكن . أما أنا فأشرب ، أشرب نخب ليديا ..
  - \_ ما دام ذلك يلهيك .
- ... ونخب الرجل الخطير الذي يشرفنا بالنزول معنا الليلة في هذا البيت المتواضع .
  - \_ أي رجل خطير ؟
  - \_ زوج الباكية الحسناء: « فرانز ورنر » !
- ـــ فرانز ورنر ؟ رئيس جماعة « الاشتراكيين الأحرار » ووزيــر الدولة ؟.. إنك تهزأ بي ا
- \_ لقد كسبت الرهان . فقد راهنت نفسى على أننى سأخرج كراوس من سكونه وأراه مضطربا .
  - \_ فرانز ورنر .. هارب إلى الخارج ؟
    - \_ فيما يبدو ..
    - \_ أما استطعت أن تنبئني من قبل ؟
- \_ أمامنا متسع من الوقت ، فإن الحدود الغربية مغلقة دوننا جميعا ..
  - \_ ينبغي يا هاجن ألا يعبر فرانز ورنر إلى الخارج!

• ما أقسى لقاء المرأة المهجورة بزوجها الهاجر! وأيهما الذى يقسو على الآخر؟ لكل منهما نفسه ومشاعره وموقفه .. فكلاهما عادل فى جوره، جائر فى عدله! هذه « ليز » متولهة ملتاعة ، تنفث وجدها . تقول لفرانز إنها اقتحمت الأهوال لتلحق به ، وإن اجتراعها كأس الموت لأهون عليها من الرضا بفراقه! .. لكن « فرانز » لا يلين لها ، وهو الذى لم يستطع طوال حياته الزوجية أن يميز حديثها الصادق من حديثها الكاذب! فتقسم له أنها تقول الحق ، وتستغفره وتستعطفه .. ثم تسأله من تكون تلك المرأة التى اصطحبها فى فراره ؟ وتجيب نفسها بأنها لن تكون سوى سكرتيرته فى الوزارة ، عشيقته كاترين! وبماذا عساها تمتاز عليها ، هذه الكاترين ؟ أتمتاز عليها بالصبا والجمال ؟ ربما كانت أرق خلها ، وألطف طبعا ، وأثبت جأشا . ولا بد أنها من النساء البارعات خلقا ، وألطف طبعا ، وأثبت جأشا . ولا بد أنها من النساء البارعات في فى فن اجتذاب الرجال وتسييرهم وراءها .. ما الذى أعجبك فيها ولم أقدمه إليك ؟

وتتدفق عبارات المرأة المكلومة كأنها تهذى ، وزوجها صامت يسمع ولا يقول لها شيئا . . حتى تستدرك قائلة :

کلا، بل کل ما هنالك هو أنها أشد منى ثقة بنفسها، تستطيع أن
 تخفى جزعها، وأن تكتم ألمها. قل لى ماذا أعجبك فيها ؟ فإنى لأستطيع

أن أصبح جديرة بك يا فرانز لو أنك رغبت في معاونتي على ذلك قليلا . سأقرأ كتبك . إنني منذ وقت طويل أريد أن أقرأها . ولسوف تشرح لى الصعب منها . . إني سأحاول أن أشبهها !

فيستنكر زوجها منها أنها تمثل أمامه دور المرأة المهجورة ، مع أنها هي التي انصرفت عن حبه منذ أعوام ، وجهرت له بذلك ، وتمادت في حماقتها فخانت عهده وارتمت في أحضان غيره من الرجال ، وحالفت خصومه ، وأرغمته على الحد من حريته واستقلاله . أما هي فتعتذر عما سبق من التماسها لرجل سواه بحاجتها إذ ذاك إلى من يجعلها تحس بالحياة ، بينها كانت شواغله هو تستأثر به من دونها .. وتعتذر له عن معارضتها لآرائه بالخوف الذي كان يدفعها إلى استرضاء ذوى السطوة والبأس الشديد في الدولة . ثم تخبره بأنها قد مهدت الأمور لانضمامه رسميا إلى الحزب ، وما عليه إلا أن يعود إلى الوطن . فيجيبها في حزم :

ـــ عبثا تحاولين . لقد رحلت لأنه لا يوجد فى الشرق مكان لى ولا للآراء التى أدافع عنها وأريد الدفاع عنها .

سآراؤك! آه .. أتعرف أنت ما هي آراؤك؟ ومن أين استقيتها؟ هل هي خير من آراء الآخرين؟ إلى أقر أن يترك المرء كل شيء في سبيل مبادئه إذا لم يكن صاحب أسرة وصاحب بيت وصاحب مال ، إذا كان مجرد طالب أو عامل ، إذا لم يكن له في دنياه شيء! أما أنت!.. إلى على كل حال عالمة بآرائك ، فآراؤك هي تلك المرأة!

وينفجر سخط المرأة التي لا تفكر إلا بعاطفتها . ولو أن زوجها كان راحلا بمفرده لهان عليها الأمر . فهي لا تستطيع أن تحتمل وصاله لامرأة ( أوديب الملك ) سواها ، وترفض أن تعود أدراجها خشية أن يتأر منه قادة الحزب في شخصها ! وهنا يعرض عليها فرانز أن تصحبه إلى الغرب ، ويعرض عليها ذلك أصالة عن نفسه ونيابة عن كاترين التي ستصبح زوجته ، فتثور ليز في وجهه ، وتلجأ إلى استخدام سلاحها الأخير ، سلاح التهذيب والوعيد ، وتنبئه بأنها أبلغت أمره في خطاب عاجل أرسلته إلى صديق لها من رجال الحزب ، وأنه سيصبح تحت طائلة بوليس الدولة منذ أن يتسلم الرجل هذه الرسالة في بريد الصباح . إذن ليس له من مفر ما دامت الحدود الغربية مغلقة دون الجميع ، ليس أمامه إلا سواد الليل يتخذ فيه قراره بالعودة . إذا كان يفضل العودة وزيرا على العودة معتقلا !

إذ ذاك يتخلى الزوج عن زوجته .. ينبذها ويطردها عنه ، فتتوارى . . وينادى كاترين فيخبرها بما حدث ، ويفضى إليها بأنه تأكد من أن كلوسوفسكى لديه تعليمات خاصة بشأن مرورهما بمجرد أن يبرز له بطاقة معينة . وتبدو ليديا ، فيسألها في الحال أن تدعو رب البيت .

و يحضر كلوسوفسكى . ويطلعه فرانز على البطاقة ، فيخرج وريقة من جيبه ويقرأها ثم يقول :

\_ ستكون التعليمات الخاصة بكما بين يدى الضابط الذى يتسلم حراسة مركز الحدود الغربية فى الساعة الحادية عشرة . لا جمرك ولا معسكر ، بل الفنادق فى انتظاركا . إنى واثق من أنكما لا تفضلان الاستمتاع بضيافتى أطول مما ينبغى ، موعدى معكما هنا فى الساعة الحادية عشرة إلا الربع لأخرج بكما إلى الحدود . واحرصا على ألا يعلم بالأمر أحد من النزلاء !

ويخرجون من القاعة بينا تدخل الكونتة ، وقد فرغت من مباراة الشطر نج ، تسأل ليديا أن تسقيها كأسا من شراب قوى . وتشرب ، وهى تسدى إلى الفتاة الرقيقة نصيحة امرأة مجربة : إن « كراوس » فتى وسيم لا ينبغى أن تدعه « ليديا » يفلت من يديها . عليها أن تسعى إليه ، وأن تبدأه بالتحية ، وأن تخاطبه بعبارات الإطراء . فإن الحياء والتحشم مما يضيع أثمن الفرص . وليس أفضل من أسلوب إمبراطورة الروسيا الشهيرة « كاترين » ، تلك التى كانت كلما أعجبها فارس جميل استوقفته وقالت له « ترجل عن حصانك وتعال معى » ... ولكن ليديا تشك في أن كراوس هو فتى أحلامها الذى تنتظره ، لأن ذلك الذى تنتظره سوف يقف ويترجل عن حصانة بجوارها دون أن تومىء الذى تنتظره سوف يقف أمامها من أصحاب الجياد ، ولسوف يقف أمامها من ألك ، بل ولن يكون فتاها من أصحاب الجياد ، ولسوف يقف أمامها من القاء نفسه ! على أن الكونتة تلقى إليها حكمة الواقع الخبيث :

ــ ليس الفتى الذى ننتظره هو الذى يتوقف ويسعى إلينا ، وإنما هو الذى يمر بنا دون أن نرمقه بنظرة . وأما ذلك الذى يتوقف فهو دائما فتى آخر غير الذى ننتظره ...

وتلمح كراوس مقبلا ، فتترك « ليديا » وحدها معه كى تطبق ما نصحتها به !.. لكن كراوس يجيل بصره فى القاعة ثم يعبرها خارجا ، فتدفع ليديا نفسها دفعا لتخاطبه ، سائلة إياه هل يبحث عن شخص معين ؟ فيجيبها بالإيجاب .. لكن هذا الشخص الذى يلتمسه ليس شخصها كاكانت تتمنى ، بل هو السيد كلوسوفسكى ، فتتطوع لخدمته في البحث عن صاحب البيت ، دون أن تتحرك من مكانها ، فإنها فى الواقع

راغبة فى البقاء حيث هى ــ أنى حيث هو !.. ويرى الفتى منها ذلك فيملأ فراغ الوقت بشكرها على هدايته السبيل فى الظلام حين ضل فى بداية الليلة . ثم يسود الصمت ، ويهم كراوس بالخروج ، فتسأله ليديا ما اسمه ، لأنها تحب أن تعلم من يكون ..

ــ وماذا عسى المرء أن يعلم عن شخص إذا عرف اسمه ؟

\_ منذ وقت قصير ، في الظلام ، كنت أقودك ممسكة بيدك . وماذا عسى المرء أن يعلم عن شخص إذا أمسك بيده ؟ ومع ذلك ، فالمرء يجد الرضا أحيانا إذا أمسك يدا في يده . وقد يكون الاسم كاليد ، يد هذا الشخص في غيابه ..

رقة وطيبة وثقة غريرة ، يقابلها الجفاف والحذر والمكر ! هذه الفتاة تريد أن تفضى بذات نفسها ، فيستغل الفتى إقبالها عليه ، ويقف منها فى لحظة على سر انفتاح الحدود الغربية لفرانز وكاترين بعد ربع ساعة ! وإذ ذاك ينصرف عنها ويسرع إلى الاجتماع برفيقه ليتداولا ويحسما الموقف .

وبعد نقاش عسير يقرر الرفيقان أن يمضى كراوس لإخطار البوليس الشرق ، على حين يمكث هاجن في بيت الليل ليستبقى الوزير ريثما يحضر من يعتقله !

ويظهر كلوسوفسكى ، فيطرى هاجن أمانته ونزاهته ووفاءه بالوعد ، ملمحا إلى الموعد الوشيك الذى ضربه لرجل وامرأة من النزلاء سوف يصحبهما بعد دقائق ليجتازا الحدود الغربية . ثم يدعوه إلى المقامرة في مباراة قصيرة لا تستغرق ثلاث دقائق ، مغريا إياه بكسب مبلغ ضخم

من المال . فيجيب كلوسوفسكى دعوته ويتبادل الرجلان إلقاء الزهر » وإلقاء الكلام . ويدور حوارهما موازيا للعبهما ، سريعا مقتضبا محكما . كل رمية تشير إشارة مباشرة إلى درجة من أطوار الربح والحسارة إذا نظرنا إلى هذين الغريمين ، وترمز من ناحية أخرى إلى موقف من المواقف بين النجاة والهلاك إذا فكرنا في مصير العاشقين الهاربين ! ويضرب هاجن على جميع الأوتار ، فيوحى إلى كلوسوفسكى في أثناء اللعب بأنه إنما يؤدى خيرا ومعروفا ويحمى رابطة الزواج المقدسة لو هو منع ذلك الزوج من الفرار ، ثم يمنحه في النهاية مال الرهان منحا رغم نتيجة المباراة . ويفهم كلوسوفسكى أن ذلك المبلغ – من يد غريم جواد أتقن الغش في القمار – ثمن لتمهله المنشود مدة عشرين دقيقة ، ويخرج صاحب الدار راضيا ليتوارى طوال الدقائق العشرين التالية ، بعد أن يرسل ليز إلى هاجن وفقا لطلبه .

وتسعد ليز بهذا اللقاء المفاجىء ، وتظن أن هاجن لم يأت إلى ذلك المكان إلا لإنقاذها ، وأنه يخلص لها الحب . ويوحى إليها هاجن ، وهو يحصى الدقائق أمامها ، بأن البوليس يتعقبه هو أيضا ، ولكن النجاة مكتوبة لهما معا إذا هى أفلحت فى تعطيل فرانز وكاترين وسبقتهما فى صحبته إلى الحدود الغربية لاجتيازها بدلا منهما ، فإن رجل الحدود لا يعلم من يكون العابران وإنما عليه أن يفسح الطريق لرجل وامرأة معا . ويلقنها الدور الذى يجب أن تمثله فى الحال : فعند نزول فرانز وكاترين وكاترين بعد نصف دقيقة — تتعرض لهما شاكية ، باكية ، لاعنة ، متشبئة بروجها ، فيتدخل إذ ذاك هاجن ليصلح ما بينهما وينصح الرجل بإعطاء مهلة لزوجته ، وعلى التو يلحق بها ويرحلان ..

• وهكذا يدور المشهد التالى . وتتقن ليز التذلل والمتضرع والانتحاب إلى درجة تشككنا فى كذبها وتثير عطف غريمتها كاترين عليها . ثم ينفرد هاجن بفرانز ، بينا تخرج ليز من أحد الأبواب ، وتخرج كاترين من باب آخر باحثة عن كلوسوفسكى .

ويدير الرجلان بينهما حوارا زاخرا بالمعانى ، تتلاطم فيه الفكرة بالفكرة ، ويصدم فيه العقل الشعور ، ونسمع خلاله صوت الضمير الإنسانى واضحا رغم هذا الاضطراب وهذا التنازع المحتدم . وقد يعيب الناقد على المؤلف إطالته لهذا المشهد ، فقد بلغت الرواية لحظاتها الحاسمة ، وهى لحظات قصيرة عصيبة متوترة لا تحتمل الإبطاء ولا تحتمل الجدل فى القضايا الاجتماعية والأخلاقية والفلسفية . ولكن المؤلف يريد فى هذه اللحظات الهامة الخطيرة أن يصب خلاصة موضوعه وأن يسجل رأيه ، اللحظات الهامة الخطيرة أن يصب خلاصة موضوعه وأن يسجل رأيه ، أو بالأحرى آراء هذين الرجلين المتعارضين ـ وكل منهما يمثل إحدى الكتلتين اللتين ينقسم إليهما عالمنا اليوم ـ وأما من ناحية الصياغة المسرحية فلا غبار على الموقف ، ومن حق المؤلف أن يطنب فيه ، لاننا نعلم أن هاجن يرمى إلى تضييع الوقت وتفويت الفرصة على فرانز !

يدافع هاجن عن ليز ، ويبين لفرانز أن من واجب الزوج ألا يتخلى عن زوجته . . فيرتاب الأخير في أمر العلاقة القائمة بين امرأته وبين هذا الرجل . ولكن هاجن ينفى الربية :

\_ كلا! لم تكن خليلتى ، وإن كنت قد قابلتها مرارا . ذلك أنك كنت منصرفا عنها ، وهيهات أن تتحمل المرأة الوحيدة عبء وجودها . لقد جذبنى نحوها ، ما وجدت فيها من الحاجة إلى محضرى . إن النساء لا يحببن الرجال بقدر ما يحببن الشعور بائهن شيء مذكور لدى الرجال . والرجال لا يحبون النساء بقدر ما يحبون الشعور بالسيطرة على النساء ... متى تم زواجك بها ؟

\_ منذ عشر سنين .

\_\_إذا عاش المرء عشر سنين بجانب امرأة ، كان هو المسئول عما تؤول إليه !

ـــ لا يا سيد هاجن! كل مسئول عن نفسه ، كل حبيس جلده فى السعد وفى البؤس وفى الموت ، بل وفى الحب أيضا ، عبثا يحاولان أن يتضاما . ماذا عسانى أفعل من أجل ليز ؟

\_ أن تظل معها ، أن تقف بجانبها في المحنة . لقدوشت بك زوجتك . وأنت تلقى عليها وزر فعلتها كما يعلق امرؤ في رقبة الضحية حجرا ثقيلا ويقذف بها في البحر . هل الإنسان بأكمله بجرد فعل صدر منه ؟ ألا تجد في ليز أيضا تلك المرأة التي سكنت إليها ، وتأبطت ذراعك في نزهاتك ، ومددت إليها يدك أثناء النزهة في الريف لتعينها على عبور مجرى جارف ؟ ألا تجد في ليز تلك المرأة التي حلمت بك في غيابك عنها وسعدت بك بعض الليالي في وجودك معها ، تلك المرأة التي كان النوم يحيل وجهها بجوارك إلى وجه طفلة بريئة . إن هذه الطفلة هي التي تريد أنت إلقاءها في البحر !

ــ بأى حق يؤاخذني رجل من رجال الثورة على عدم اكتراثي بامرأة ضمن ملايين من النساء ؟ حدثني عما يعنيك . حدثني عن الشعوب، ما دمتم لا تتكلمون إلا باسم الشعوب . حدثني عن هذا العالم الجديد الذي تشيدونه بالعنف والأمل ودم الضحايا ، ولا تحدثني عن ليز .. وما قيمة امرأة لديكم ؟ ما قيمة ألف بل مائة ألف من البشر ؟ هل تنكر معسكرات الأشغال الشاقة ، تزجون فيها بمن تسمونهم المعارضين والخونة والفاترين ؟ هل تنكر نفي القوم من أرضهم حتى أقفرت أقاليم كاملة ؟ هل تنكر الإرهاب الذي يدفع الآلاف من الرجال والنساء إلى عبور الحدود ، رغم تهديد أبراج المراقبة والأنوار الكشافة والمدافسع الرشاشة وكلاب الصيد التي دربتموها على قنص الإنسان ؟ إنكسم تدافعون عن الإنسانية ضد الناس. وإذا كان مبدؤك قتل الخصوم والمشتبه فيهم ، أيا كان عددهم ، وإلى أجل غير مسمى ، فكيف تسألني أن أدرأ عن واحدة من البشر شيئا من الألم ؟ ألا ترى يا سيد هاجن أنك كمن يدعو إلها ولا يؤمن به ؟

ـــ لأنى أصبحت أرى التعاون بين حزبكم وبين الأحزاب الحرة مستحيلا .. لأن غايتكم خلاص الناس ووسيلتكم هوانهم !

سد إن الدبابات أثناء الحرب تسحق زهر الحقول الغض ، وإنها لخسارة . وخسارة كذلك الأبدان البشرية . غير أننا لا نستطيع في سبيلها شيئا . فالثورة ينبغي أن نصنعها من أجل الناس ، وفي الوقت نفسه بالناس وضد الناس . قتل وتقتيل . علينا از دراء الناس إذا أردنا أن نجبهم حبا ينفعهم . وعلينا أن نهدم ، فلن نهدم العبودية ما لم نهذم سادة العبيد والعبيد الذين يحاربون في صف السادة .

\_ ومع ذلك فقد انهدمت العبودية منذ نحو عشرين قرنا ، وهدمها حب لم يحمل سلاحا . ذاك لم يقتل سادة العبيد ، بل قتل العبودية فى ضمير السادة !

\_ ما دامت إحدى صور العبودية قائمة ، فذلك لأن الحب الذى تتحدث عنه لم يكن كافيا .

\_ولكنه كان حبا . أنريدون الهدم في سبيل البناء ؟ أولئك ملوك أشور الذين شيدوا الصروح والقلاع كانوا يبنون جدرانا يسدون بها أبواب الصوامع التي يلقون في غياهبها سجناءهم أحياء . وكذلك تفعلون بضحاياكم فيما تنشئون من المصانع والمدن الجديدة . إنى لا أريد سدودكم ، لا أريد مصانعكم ، لا أريد مدنكم حيث آلاف من العيون مفتوحة إلى الأبد تتطلع إلى الأحياء من خلال جدران كثيفة ..

ـــ وعيون ليز ، يا سيد ورنر ؟

ــ عيون ليز ؟

\_ لسوف تلاحقك صورتها . سوف ترى جثة واقفة ، مفتوحة العينين ، داخل جدران بيتك الوثير فى فرنسا أو أمريكا . ولعل نظرات تلك الجثة لا تضايقك ، ولعلها لا تضايق صديقتك كاترين . .

\_ إنك محام بارع يا سيد هاجن!

- لكل شيء ثمنه . لا سعادة ولا حرية بلا ضحايا . فهلا أنصفتنا ، نحن رجال الحزب الذين لا نتقاضى الثمن المرقوم ؟ إننا لا نعمل من أجل أنفسنا . إننا نقتل ، نعم ، نقتل لأن لنا عالما نريد أن نحييه ، لأننا نريد أن نعطى لتاريخ الناس معنى مقبولا . أما أنت ، فلحسابك الحاص ، ولمنفعتك الفردية ، ودون كثير من تأنيب الضمير - فيما يبدو ستقوم بعد بضع دقائق بنحر ذبيحتك البشرية . إلى اللقاء يا وزير الدولة ، أتمنى لك رحلة طيبة !

\_ يا سيد هاجن ، أظن أنني سأفعل ما تسألني .

\_\_ ستفعل ؟

\_\_أظن أننى سأفعل ، وقد أجانب بذلك الصواب . هناك صوت آخر غير هذا الذى ندعوه صوت العقل ، صوت آخر نسمعه فى أعماقنا ، هو صوت سوانا ، صوت الآخرين ، نجاة غيرنا ونجاتنا ، انتصار غيرنا وربما هزيمتنا . وغريب أن تكون أنت الذى أسمعتنى فى نفسى هذا الصوت ، أنت الذى لا تسمع مثله .

وهنا تدق الساعة دقاتها الإحدى عشرة ، وكأنها تؤذن لأروع من حلول ساعة جديدة ، كأنها تعلن حلول المصير الأبدى !

ــ هل وزنت الأموريا سيد ورنر؟

ـــلو أنى وزنت الأمور لكنت الآن على غير هذه الأرض . لا أريد أن أزن شيئا ، أنت خاطبتنى بالعبارات التي من شأنها أن تجعلني أتاً لم لألم ليز ، وها أنذا مشلول لا أنطلق .

ـــ ما زال أمامك الخيار ياسيد ورنر .

ثم ينادى هاجن «كلوسوفسكى » ليصحب ورنر ، فيدخل تتبعه كاترين ، ويهم كلوسوفسكى باصطحاب فرانز وكاترين إلى الحدود الغربية تنفيذا للتعليمات الأولى ، فيدهشه أن الرجل لا يريد أن يتخلى عن زوجته ، وتقترح كاترين وقد أنبأها كلوسوفسكى أن رسالة قد وردت أخيرا من مركز المراقبة الغربى تؤذن بانفتاح الحدود للجميع فى الساعة الثالثة صباحا أن يظلا الساعات الباقية لتتمكن ليز من العبور معهما . ترى هل انتصر الإخلاص فى قلب الرفيق هاجن ؟ فها هو ذا سوهو يعلم أن فى الانتظار هلاك هذين العاشقين يلح عليهما بمغادرة المكان فورا . لعله كذلك يكون قد أرضى ضميره من ناحية الحزب إذ أدى واجبه ، ومن ناحية ليز إذ ضمها إلى زوجها ، ومن ناحية أخوين له فى الإنسانية إذ يحثهما على النجاة !

ولا تكاد كاترين تفيق من دهشتها لتحول هاجن عن موقفه حتى نسمع جلبة غريبة في الخارج، ويدخل رجال البوليس الشرقي يتبعهم كراوس، ويستولى الرعب على جميع من في البيت، إلا أننا نستطيع أن نميز صوت ليز تستغيث بهاجن، وصوت فرانز يستغفر كاترين!

٤

• يأمر كراوس باعتقال الجميع ، دون استثناء كلوسوفسكسى وليديا المتهمين بتدبير فرار القوم . ويختلى برفيقه هاجن ، فيلاحظ هاجن أن صاحبه ممتقع الوجه جريج ، أصابه رصاص حراس الحدود . ويستنكر القرار العاجل الذى اتخذه رجال الدولة ، والذى آب الرفيق كراوس ليضطلع بتنفيذه ، القرار القاضى بإعدام جميع أهل البيت رميا بالرصاص ! نعم ، تلك أضمن وسيلة لكتان سر التخلص من بالرصاص! نعم ، تلك أضمن وسيلة لكتان سر التخلص من كلوسوفسكى فى هذه الليلة ؟ هب أنهم متهمون بمحاولة الفرار ، وهب أن كلوسوفسكى يعينهم على ذلك ، فماذا اقترفت ليديا حتى تستحق الموت فى زهرة صباها ؟ كل جريمتها أنها أحبتك ، ووثقت بك ، وباحت لك بسر كان ينبغى أن تكتمه !

— ولكن ما عسى ذلك أن يغير من الأمر ؟ إن ليديا الفتاة بريئة ، وإنها لتحبنى . ولو لم تكن تجبني ، ترى هل كنت أستطيع أن أقتلها وأنا أكثر اطمئنانا ؟ نعم ، هناك ليديا . . ولكن كم من فتيات مثلها لقين حتفهن لأنهن وقفن ضدنا ، أو لأن سوء الطالع أوقفهن في ميدان الوغى حيث لا تميز القنابل من تصيب ومن تدع ، فكان أن قتلناهن ، لأن أمامنا ثلاثة أرباع الأرض نريد أن نخلصها من العبودية ، لأن في ثلاثة أرباع الأرض عشرات

الملايين من أمثال ( ليديا ) يعدن كل يوم من المصنع منهكات القوى ليستقبلن أمسية مملقة من الأمل ، ويتركن أطفالهن للموت لأن امراً لم يعلمهن كيف يعتنين بهم ، ويرقدن على الطوى في طين آسيا الأصفر ، أو يقدمن أنفسهن على قارعة الطريق في أوروبا لشهوة السادة الذي جعلوا منهن بغايا ذليلات . إنني ابن بغي من بلدة ( ستيتين ) يا هاجن ! سومبادؤنا يا كراوس ؟ ومعني جهادنا وواجبنا ، وجميع ما ينبغي أن نخلصه ، وجميع ما ينبغي أن نثأر له ، إني أهيب بهذا كله كما تهيب به أنت . مثل امرأة وحيدة في البيت تنادى زوجها إذ تسمع اللصوص ، ولكن زوجها لا يأتي !

- إذا بقيت ليديا على قيد الحياة تكلمت ، وإذا تكلمت ...؟

- آه كلا ! دع هذا ! دع المنطق ! منطقنا الصلب الذي يخترق كالرصاص صدرا إنسانيا . أتظن أننى لا أرى تلك الرابطة المنطقية ؟ إنها لرابطة مقررة لا سبيل إلى إنكارها ودحضها . ومع ذلك فهى رابطة لا وجود لها ولا معنى لها .. انظر ! لقد انضممت إلى الحزب لأننى ضقت بمشهد الإنسانية منذ بدء تاريخها تصارع بؤسها المارد المجنون المعصوب العينين وهو يهوى يمينا وشمالا بفأس في يده ! وها نحن قد صرنا جميعا ذلك المجنون نفسه ، نضرب على غير هدى ، وتحت الفأس توجد ليديا . هاذا تجدى ثورتنا ، وماذا تسدى من نفع إذا أصبح منطقنا باطلا ، وتجسم في صورة ذلك الوجه الذي بلا عينين ، وجه الأعمى المتخبط الجامح الغضب ، وجه القدر ؟

... إذا كان انقتال دائرا ، وكانت هذه الدار مرصدا يصوب منه العدو

النار على خطوطنا ، أكنت تتردد في تدميرها ؟ هل كانت ليديا إذ ذاك تخطر لك على بال ؟ إنني أرثى لليديا كما ترثى أنت لها ..

ـــإن ليديا لا تثير رثائي بقدر ما تثير خوف .. ترى كيف ستلقى إليها بالنبأ الفاجع ؟

ويقتاد هاجن رفيقه من كتفيه ويديره نحو الجدار ، في المكان الذي اتخذته ليديا في الفصل السابق . ويتخيل أن ليديا واقفة وجها لوجه أمام فتاها الأشقر ، تنظر إليه في مقت ، وأن هذا الفتى ينظر إليها ثم يقول لها إنه آسف لأنه سيقتلها بعد هنيهة قصيرة ! . . فيستنكر كراوس من رفيقه هاجن أن يمازحه هذا المزاح البشع . وفي تلك اللحظة تهبط ليديا الدرج وتقف و راءهما صامتة !

هاجن: إنك لا تريد أن تقول لها إنك ستقتلها . لماذا لا تريد أن تقول لها ذلك ؟

فتر دد ليديا:

\_ لماذا لا تريد أن تقول لها ذلك ؟

فيلتفت كراوس مجفلا مضطربا ويقول للفتاة الهادئة أمامه:

\_ ماذا تفعلين هنا ؟ من أذن لك بالمجيء إلى هنا ؟

فترتاع ليديا وتتلعثم:

\_ قالوا لى إنك صاحب الأمر .. لم أصدق .. كنت أريد .. كنت ريد ..

وتلوذ بالفرار من حيث أقبلت!

• ولكن المؤلف يتبعها إلى غرفتها فى المشهد التالى ، حيث نراها ونسمع حوارها مع الكونتة . ويا له من حوار مؤثر : أحقا هذه هى آخر ليلة فى حياتها ؟ يخيل إليها أنها تحلم ، وأنها ترى فى حلمها شخصا يدنو منها ليقتلها دون أن تستطيع الهرب ولا الدفاع عن نفسها ، لأنها أسيرة الكرى ! . . غير أنها تكفر بحلمها ، وتنكر أن يكون له مكان فى الواقع . ثم يخطر لها أنها دميمة ، وأنها لو كانت جميلة لاستطاعت أن تثنى الفتى عن قتلها . وذلك خاطر لم يطرأ على بالها قبل تلك الليلة !

\_ ينبغى أن أعرف: لو قد أتيح لى أن أعيش ، هل كان يهتم بى رجل من الرجال ؟ لا تكذبى أيتها الكونتة! ما أنا إلا فتاة دميمة لم يكن لها في حياتها أى أمل . فتاة دميمة ما كان ليحدث لها أى شيء ، تموت ميتة لا معنى لها بعد حياة قصيرة لا معنى لها ... أما أنت فقد كنت جميلة أيتها الكونتة ، وأحبك الرجال .. وستكتفك جميع ذكرياتك في لحظتك الأخيرة ، ولا تموتين وحيدة مثلى . أنا ليس لى ذكريات ، ولم يقع لى شيء . لا بد أن أعرف هل كانت حياتي ستتصل على هذا المنوال .. ؟

\_ إنك لجميلة ياليديا . . وإنك لصبية ...

وتأخذ المرأة رأس الفتاة الشقراء بين يديها فتزيح شعرها إلى الوراء قائلة

- أظهرى وجهك ولا تختبئى وراء شعرك . إنك كالحيوانسات الصغيرة النافرة التى تتسلل بحذاء الظلال . لكى تكونى جميلة ينبغى أن تؤمنى بأنك جميلة ، ينبغى أن تتقدمى إلى النور . وإننى لخليقة بأن أصنع منك فى عشر دقائق فتاة من أولئك اللواتى كن يخلبن رجال السفارات فى الحفلة الراقصة التى كانت تقيمها الرياسة فى فارسوفيا !

- جمليني أيتها الكونتة! هلمي! أسرعي! فليس لدينا عشر دقائق كاملة . إنني أريد أن أكون جميلة للمرة الأولى . إنك كاملة . إنني أريد أن أكون جميلة للمرة الأولى . إنك لا تفهمينني . أنا أيضا ، لساعة واحدة خلت ، لم أكن أفهم من الحياة شيئا . كنت أنتظر ، وكنت خائفة . كنت أنهيب الحياة . أما الآن فإني لا أرهب شيئا منها . إنها لصافية شفافة حتى قاعها ..

وتلح الفتاة الرقيقة على المرأة المجربة في أن تجملها . فتقترب الكونتة منها ، وتصفف لها شعرها ، وتفتح ثوبها فوق نحرها ليظهر جيدها ، وتلون و جنتيها بمسحة من مسحوقها الأحمر ، ثم تمنحها عقدها اللؤلؤى الشمين . وتمسك ليديا مرآة صغيرة في يدها ، وتنظر إلى صورتها مليا ثم تقول :

\_ إنك جميلة ياليديا!

وتنفخ على الفور فى مرآتها فتغشى أنفاسها الندية صقال الزجاج اللامع ، وتقول لنفسها :

ــ نفخة واحدة تمحوك . ليس بين الحياة والموت إلا هذه النفخة ! ثم تجلو مرآتها وتطيل النظر فيها وتقول :

ــ وداعا أيتها الجميلة ليديا ..

وها هو ذا الشرطى فى معطفه الفضفاض ومشيته النظامية التقيلة يدخل ويأمرهما بالخروج دون أن ينظر إليهما ، فقد حانت الساعة ! وترى ليديا فى هذا الرجل الجامد ــ هذا الإنسان الذى حولته النظم الاجتاعية إلى آلة صماء ، عديمة الشخصية ، تتحرك وتنفذ دون أن تشعر أو تفكر ــ ترى فيه رجلها الأول منذ أن تجملت ، وتريد أن تلمس أثر جمالها فى عينيه . فتدنو منه وتسأله فى سذاجة أن يسمح لها بأن تنظر فى مقلتيه . فيتحشم الشرطى قائلا :

\_ أيتها الرفيقة!

فتجيبه:

ـــانني لست رفيقة . إنني ليديا . هذا الجسم الذي ألمسه من فوق هذا الثوب ، إنه ليديا ، إنه أنا ... أنا ، يالها من كلمة عجيبة !

و تظن الكونتة أن الفتاة فقدت صوابها ، فتحنو عليها .. ولكن ليديا تستأنف حديثها هذا الساذج الغرير الحكيم معا ، باسطة يدها للشرطى : \_\_ هذه اليد ، إنها ليديا . انظر ، إننى أثنى وأبسط إصبعا ، وإصبعا آخر وإصبعا ثالثا . وأفتح يدى ، وأضمها . هذه ليديا . إنه لشىء عجيب أن أكون « أنا » ، شيء عجيب أن أكون حية !

ويختلط في حديثها دلال الصبا ، والغزل الذي تتوق إليه ، والفزع من الموت الذي ينتظرها ! تأنس في هذا الشرطى الذي سيطلق عليها الرصاص عما قليل رجلها الأول والأخير ، عاشقها ، فرصتها الوحيدة لأن تعرف الحياة والحب . تعرض عليه جيدها وقد أزاحت عنه شعرها سائلة إياه أن يصوب إليه رصاصة ، دون أن ينذرها بشيء قبل أن يفعل .



تعرض عليه جيدها في استسلام الذبيحة البريئة ، وفي إغراء المرأة الفاتنة ، و تخاطبه بلغة الغرام :

ــ يا حبيبي ، هل أنا جميلة ؟

فيجيب الشرطى في لهجته الصارمة:

\_ إنك جميلة .

ـــ إنني جميلة ؟ فهل تحبني ؟ هل تشتهيني ؟

ـــ نعم !

فتضحك ثم تقول:

ـــ هل تأخذنی بین ذراعیك إذا تجردت من ثیابی وأصبحت عاریة ؟

ـــ نعم .

ــ قبلني !

فيتردد الشرطي ، ثم يقبلها . وتغمض الفتاة عينيها لتتذوق قبلته ،

أو لتغيب في حلمها المفقود، فها هي ذي أول قبلة على وجنتها من شفتي رجل، وإن كان هذا الرجل هو الشرطي رقم ٢١٨، البالغ من العمر ثمانية وأربعين عاما. وتصمت قليلا ثم تقول له:

\_إنك ستمضى إلى أيام من الحياة وسنين من الحياة . هلا اصطحبتني معك ؟ فإني أريد أن أعيش معك هذه الحياة التي تشبه الأبد .

ــ لا أستطيع ..

\_ لا تخش شيئا . إنى لا أريدك على أن تعصى أو امرك . خذ هذه المرآة الصغيرة . إننى أعطيك ليديا . فقد حبست فيها صورة ليديا . هذا الوميض الذي تمحوه نفخة ، ويقضى عليه وميض بندقيتك . هل تحفظها ؟ هل تحفظ الوجه الذي جملته ؟

فيجيب الشرطي وقد أخذه التأثر:

\_ إلى يوم مماتى .

\_ إلى يوم مماتك ؟ أنت أيضا سيجىء يوم تموت فيه ؟ ولكنه يوم بعيد ، ودونك قبله ملايين الأيام . إنك رجل خالد .. ينبغى أن نمضى الآن .

\_\_ ينبغى ..

-وتتجه ليديا والكونتة نحو الباب ، بينما يظل الشرطى واقفا في مكانه كالمشدوه ينتظر أن يفيق ، فتنبهه ليديا في رفق :

\_ هيا بنا أيها الشرطي . تشجع !

وننتقل إلى غرفة أخرى من بيت الليل ، فنجد كاترين وفرانز واقفين متعانقين ، فُنِيا في عناقهما ، وغابا عن كل ما حولهما في نظرة واحدة

طويلة متصلة . إنهما لا يسمعان صوت ليز تخاطب زوجها ملهوفة مفجوعة مستيئسة ، تدعوه إليها ، وتقسم له أنها لم تطلب الشرطة ، وإنما سعت إلى الفرار معه ، ولا أدل على ذلك من أنهم قرروا إعدامها هي أيضا ! ويتقارب فرانز وكاترين ، ويغمضان أعينهما كأنهما ينتظران شيئا . ولا يلبث فرانز حتى يتر نح فتسنده كاترين دون أن تفتح عينيها ، كأنها قد أحست بذلك الخور في جسمها هي . ثم يدخل كراوس وهاجن والضابط . وتجهد كاترين لحظة في الاحتفاظ بفرانز متوكتا عليها ، ثم يهويان معا ، متعانقين دائما ، جامدين . لقد تجرعا من السم ما أخرجهما من الدنيا الضيقة ! غير أن ليز ترتمي على الجثتين تحاول أن تفصلهما ، وتستسلم لليأس والقنوط إذ ترى نفسها وحيدة منبوذة . فهذا زوجها يموت على مشهد منها دون أن يشاطرها موته! وتتعلل المرأة المشردة بالسراب، تلوذ بهاجن، وتناشده أن يمسك بها وألا يتخلى عنها، فإنها في حاجة إلى شخص يقف بجوارها عند إعدامها ، وما زال وهمها يصور لها أن هاجن معتقل مثلها ينتظره نفس المصير . تلتصق إذن بهاجن ، ويحاول الضابط أن ينتزعها ، فتصيح صيحة رهيبة : « لا ! » . وإذيري هاجن تعلقها به ، يذود عنها الضابط ، ويطيب خاطرها . ولكن الضابط يريد أن يؤدي واجبه ، فهو مسئول عن المعتقلين . وتفهم ليز من نقاش الرجال حولها أن هاجن هو الذي دبر اعتقالها ، ومع ذلك فهي لا تقوى على أن تتمثل نفسها الشريدة مطرودة من هذا الملاذ الأخير . ويصمت هاجن إزاء هذه المرأة التي تتضور من اللهفة والسخمط والأسى ، ثم يقول :

\_ كفى . هلموا اعتقلونى !

فتعقد الدهشة ألسنة الجميع ، ولا يقطع الصمت إلا شهقات ليز ، ثم يستأنف هاجن حديثه :

\_\_ إننى متواطىء مع هذه المرأة . وها أنذا متلبس بالفرار معها من الجمهورية الشعبية إلى الخارج!

**كراوس** : هل جننت يا هاجن ؟

هاجن : لقد كذبت عليك حين قلت لك إننى سأحاول استبقاء ورنر وزوجته هنا حتى تعود . فقد كنت أريد أن أبعدك عنى لأتخلص من رقابتك ولأعبر الحدود مع ليز . ولكنك عدت سريعا . أتسمعينني يا ليز ؟

تمسك ليز عن البكاء وترفع رأسها . إنها لا تفيق من مفاجعاً الالتتلقفها مفاجاًة أخرى . ولا تكاد من فرط دهشتها أن تصدق ما تسمع ، غير أن هاجن يقترب منها ، ويستغفرها معتذرا عن صمته بما ساوره من خوف منذ لحظة ، ويؤكد لها أنه معها مهما يحدث . فترتمى على صدره في فيض من الشوق والامتنان !

كراوس : هاجن ! هلا شرحت لى ماذا تعنى ؟

هاجن : إنني معها . معها وعليكم .

ويجذب ليز ويخطو معها صوب الباب المؤدى نحو الغرب ، سائلا الضابط أن يعتقله . فيوجه الضابط إلى كراوس نظرة المستفهم ، ولا يملك الرفيق كراوس إلا أن يقول لرفيقه هاجن : « لك ما تريد » ، وللآخرين : « إنه سيقدم حسابا عن تصرفه هذا أمام محكمة الشعب » .

ويخرج الضابط للبحث عن المدعو أدلر واعتقاله ، بينها يقتاد الشرطة ليز إلى حيث الآخرون ينتظرون .. وينفرد كراوس بهاجن :

يستوضحه في عتاب رقيق أو لا لماذا يتحول ويرتد في وسط المعركة ؟ فيعترف هاجن \_ وهو من المجاهدين الأشداء \_ بأن في نفس الإنسان شيئا أقوى من الإنسان ، هو هذا الشعور الذي يدفعه إلى الغوص في الماء لإنقاذ طفل أخذ في الغرق ، رغم علمه بأن التيار عنيف قاتل ! لكن كراوس يأخذ عليه إفراطه في الشراب ، فلا يجيب الرفيق المرتد إلا بصب كأس من الخمر يجرعها بعد أن يرفض صاحبه أن يشرب مثله !

كراوس : إنك لم تحترس من تهكمك كما ينبغى . والرجل الذى يسخر من نفسه رجل قد تسرب إليه الشك ... لقد

· أصبحت غير أهل للثقة ..

هاجن : إذا كنت قد أصبحت غير أهل للثقة ، فلماذا أرسلوني للخارج ؟

- ـــ أرسلوك تحتى مراقبتي !
- ـــ أجل! بمثابة اختبار لي ؟
  - ــ تقريبا ..
- ولمراقبتي اختاروا أحسن أصدقائي ؟
  - ـــ لبعث الثقة في نفسك .
  - ـــ إنهم لم يسيئوا الاختيار ..
  - \_ لست متأكدا من ذلك .
    - \_ لماذا ؟

\_\_ أشاروا على بأن أعرضك لبعض المغريات . وأعتقد أنني حاولت على النقيض إبعادك عن العثرات !

- \_ ولماذا ؟
- \_ لأني أحبك .
- \_ وأنا أيضا كنت أحبك يا كراوس.
- ويرفع كأسه ويتسرب نخب صداقتهما القديمة ..

\_ هناك شيء أعجز عن فهمه يا هاجن ، ألا وهو أنك استطعت أن تحب هذه المرأة إلى درجة الارتداد والهلاك من أجلها !؟

- \_ أنا ؟ أحب ليز ؟ إنك لمجنون!
- ... فما شروعك في الفرار معها ؟

\_ فليتحول هذا النبيذ الغربي الممتاز إلى سم زعاف إذا كانت هذه الفكرة قد خطرت لي على بال!

\_ إذن فكل شيء ملفق ؟

\_ يقينا ... لقد قمت بواجبى كمجاهد أمين ، فاستخدمت هذه المرأة لاستبقاء ورنر هنا حتى عودتك . أتقنت العمل . ولكن حدث ما لم أكن أتوقعه .

فهو لم يكن يتوقع مشهد هذا اليأس الخائر الذي لا سند له ، مشهد هذه المرأة المهملة المنبوذة التي اعتقدت لحظة أن شخصا يهتم بها ، ثم وجدت أنه خدعها وأسلمها إلى الموت وحيدة ضالة مدحورة! لعلها لو قد استقبلت مصيرها رابطة الجأش لما لان لها قلبه . إنه على كل حال ليس بخائن ، وإن ظهر بمظهر الحائن أمام رجال الحزب . وحسبه ما يجد

من الرضا منذ آنس من هذه المرأة التعسة أنها ستموت في كنفه سعيدة ، أسعد مما كانت طوال حياتها . وهل من شأن الشفقة أن تقف عند حد ؟ إذا تأكم المرء ، قد يستطيع أن يتدبر ألمه مع نفسه كما يروق له ، ولكن إذا تأكم سوانا ، طفلا كان أم حيوانا ، هل نستطيع أن نحد من عطفنا عليه ؟ إن الشفقة لتملك أمر من تمسه حتى لا تدع له أضيق حيز للتملص من وطئها . وقد يتسرب الوهن أو الجنن لحظة إلى النفس المخلصة في أما الشفقة فلا راد لها من قوة الشكيمة وحزم الإرادة . ليس هاجن جبانا ، وإنما هو لا يستطيع أن يقاوم نظرة ليز ولا نظرة ليديا في شقوتهما . إذن لقد أصبح غير صالح للخدمة ! ورفيقه يذكره بأن الطريق أمام الحزب مازال طريقا طويلا شاقا ولا بد من أن تضرجه الدماء ، لا بد من القسوة حتى يشيد النظام الجديد عالما ليس للشفقة فيه مكان ولا نفع . .

هاجن : ليس لآلام الدنيا آخر يا كراوس . لن تنتهى شقوة البشر قبل أن تنتهى كربة آخر الأحياء على ظهر الأرض ، وهو يحتضر وحيدا وليس أمامه إلا وجه الموت ..

وماذا عسى أن يصنع ذلك الرفيق برفيقه ؟ يعرض عليه أن يسرع فى الهرب وأن ترديه أثناء محاولته الفرار رصاصة يطلقها عليه أحد رجال الحدود ، فهو لن يحاكم محاكمة علنية لو عاد موفور العافية ، لأن الحزب يريد أن يكتم عن الملاً تلك القصة . يرفض هاجن هذا العرض في شمم الإنسان الذي يشعر بكرامة نفسه ، وفي إباء المجاهد الباسل الأمين الذي

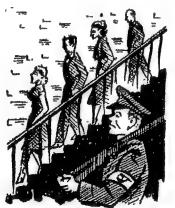
يحرص على أن يؤدى حسابا عن أمانته ، وأن يعترف بخطئه إذا كان قد أخطأ !.. ويفترقان . عزيز على كراوس أن يودع صديقه ورفيق جهاده وداعا أبديا . ولكن هاجن يحذره من أن يلين ، وأن تتسرب إلى نفسه العنيدة أشعة الشفقة فتصهرها وتفسد عليه أمره ! ينظر كل منهما فى عينى صاحبه ، ويكتفى هاجن بأن يضع يده على كتف كراوس ثم ينأى عنه ، بينا يظل هذا الأخير فى مكانه جامدا . ويسأله هاجن أن يأذن له بمشاهدة إعدام النزلاء ، وبأن يقف بجوار ليز حتى لحظة مصرعها ، كى تعتقد أنه سيموت معها ! ويهم بالخروج ، إلا أنه يعود سائلا :

\_ كراوس. أتعدم ليديا أيضا ؟

\_ ليديا أيضا .

ويبقى كراوس وحده . ثم يدخل الضابط وقد قبض على « أدلر » الذى كان يحاول الفرار ، لا إلى الغرب كا توقع الجميع بل إلى الشرق ! ذلك أنه قسيس أراد أن يدلف إلى الدولة الشرقية ليحمل إلى أهلها المضطربين المتألمين — وما أكثر من يساقون هناك إلى الموت ! — رسالة حب الله لهم ، وحاجتهم إلى أن يشفق بعضهم على بعض . ونسمع فى حوار الرجلين هذين الصوتين المتناقضين : صوت المذهب المادى الذى عوار الرجلين هذين الصوتين المتناقضين : صوت المذهب المادى الذي يحاول أن يحل مشكلة الإنسان بإلغاء وجود الله ، وصوت الإيمان الوثيق الذى لا يرى في غير الرحمة والتضحية مخرجا للإنسان من مأساته القائمة . وما من شك في أن المؤلف قد أقحم شخصية هذا القسيس فى الرواية ، حيث لا يشترك في توجيهها ولا يضطلع بدور فعال ، مجرد النقاش الفكرى الذى يثيره الموضوع ، والذى لا تكتمل عناصره النقاش الفكرى الذى يثيره الموضوع ، والذى لا تكتمل عناصره

إلا إذا تجادل متحدث باسم المادية مع متحدث باسم الله. وهذا النزاع بين المادة والروح قد أصبح بعد الحرب الأخيرة أهم ما يشغل الكتاب في بحثهم المتصل للإنسانية الضالة المتخبطة عن حل يعصمها من التردى في هوة الهلاك التي انفغرت دونها . وما أكثر ما يظهر القساوسة على المسرح الفرنسي في هذه الأيام! ولعل تبيري مونييه متأثر في هذا الجزء من رؤايته ببطل من أبطال الكاتب الإنجليزي المعاصر « جراهام جرين » رأيناه أخيرا يحيا حياة غريبة على خشبة المسرح وفي أشرطة السينا تحت عنواني « القوة والمجد » و « قد مات الله »!



ومهما يكن من شيء فإن خاتمة « بيت الليل » خاتمة قوية مؤثرة : فهؤلاء هم أهل الدار يهبطون السلم في حراسة الشرطة ويتجهون إلى الباب الخارجي . وتنشد ليديا وهي تسير في وداعة ، هذه الأبيات الرقيقة .. وكأنها ترفى نفسها أو تعاتب القدر : لقد لبست ثوبى المتألق كالشمس ولبست السماء ثوبها القاتم كالخريف أهى السماء التى تخطىء أم أنا ؟ هل يأتى ؟ هل يأتى حبيبى ؟ وينهرها الضابط بعنف فتصمت . وتخيم الرهبة على الجميع . ويخرج الواحد تلو الآخر من هذا الباب الذى لن يعود منه إلى الأبد . أما كراوس فيظل في مكانه جامدا دائما . ثم تسقط الستارة .

## من كنرز التراث

## حلمي مراد

ـ رمسالة الغفسران \_ الأمـــير

ـ جوكسا

\_ العقد الاجتماعي

\_ألكسندر ديماس

\_ مروحة الليدى وندرمير

ـ سالومسي

\_مدرسة الأرامل

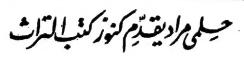
\_عندها تخون المرأة

- الأسلحة والإنسان

\_ مذكرات كازانوفا

رقم الإيداع ٣٥٧٦ / ٩٢ الترقيم الدولي 5-0730 - 11-977

مار مصر للطباعة



١ \_ رسالة الغفران

٢ ــ الأمـير

٣ \_ العقد الاجتماعي

٤ ــ سـالومي

میوکندا

٦ \_ مدرسة الأرامل

٧ ـ ألكسندر ديماس

۸ ــ مروحة اللادي وندرمير ١٦ ــ دكتور فاوستم ا

٩ \_ مذكرات كازانوفا

• ١- حياتي مع بيكاسو

١ ١\_ أوسكار وايلد ۲ ۱ــ مـوزار (وأعلام آخرون)

17\_ ملكات ونساء

٤ ١\_ الأسلحة والإنسان

( ومسرحيات أخرى )

٥١ ـ الملك أوديب

۱۷\_ لیدی هاملتون ۱۷ Mibliotheca Alexadrina

الثمن ١ ٠ ٣ قرش

دار مصر للطباعة سعيد جو ده السحار وشركاه